التوأم وذكريات الماضي المؤلم

للكاتبة: خديجة عقبة

بسم الله الرحمن الرحيم
دار ساجد للنشر والتوزيع
الطبعة الأولى 1444 هـ 2023م
الطبعة الثانية 1445 هـ 2024 م
الإيداع القانوني: 2023/06م
ردمك: ISBN (978-9931-895- 97-8)

عنوان الكتاب: التوأم وذكريات الماضي المؤلم
اسم المؤلف: خديجة عقبة

المدير العام: صيام يمينة حرم برحايل
مدير النشر: عبد الحميد مشكوري
التنسيق: فريق دار ساجد
التدقيق: سلوة علو

صفحة الدار على موقع الفيسبوك:
FACEBOOK.COM/SADJED.EDITION
الموقع الإلكتروني: SAJEDEDITION@GMAIL.COM
الهاتف/الفاكس: 0541389203/0794210405/0664509953/033554911
الناشر: دار ساجد للنشر والتوزيع

جميع حقوق النشر الورقي والإلكتروني والمرئي والمسموع محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب بالقص أو النسخ أو التعديل إلا بإذن من الناشر.

[الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر المؤلف فقط ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الناشر].

إهداء

إلى الأستاذ القدير والمبدع عبد الحميد مشكوري.

والأستاذة الفاضلة يمينة صيام التي لا سقف لطموحها.

وإلى جميع طاقم دار ساجد.

دمتم متألقين في السماء الإبداع والنجاح.

التوأم وذكريات الماضي المؤلم

للكاتبة: خديجة عقبة

مقدمة

أحيانا يجد الإنسان نفسه سجين ذكريات مؤلمة قد تجعل منه شخصا حقودا على كلّ من تسبب له بها، مما قد يولّد في نفسه الرغبة في الانتقام ولو كلّفه الأمر خسارة مبادئه وحتى حياته.

لذا كلّما تسامح الإنسان أكسبه ذلك راحة نفسية وطمأنينة في القلب، فالانتقام يدمّر صاحبه، ويجعل منه كتلة من الحقد والكراهية.

استيقظ التوأم نبراس وإيناس على صوت والدهما وهو يتشاجر مع زوجه. كان التوأم في العشرين من عمرهما جميلتين، رشيقتين ولهما عيون عسلية وشعر أشقر ناعم كالحرير.

اتنفضت إيناس ووقفت تنظر من فتحة الباب بينما وضعت نبراس الوسادة على رأسها بعد أن تقلّبت على بطنها، وبدأت تضرب بقدميها بغضب على السرير مخاطبة أختها:

- لقد سئمت من شجارهما كل يوم بسبب الموضوع نفسه، إلى متى سنصبر على كلامهما الجارح وذلهما لنا؟

ردّت عليها إيناس وهي تهزّ كتفيها:

- لا أدري يا أختي، لكن كلّ ما أعلمه أنّي أصبحت أكره هذا البيت وكلّ من يمكث فيه.

عادت وجلست على السرير ورفعت الوسادة عن رأس توأمها نبراس قائلة:

- أتعلمين فيما أفكِّر؟

- فيما؟

- لم لا نَذهب للعيش مع خالتنا، أليس العيش معها أفضل من هذا الجحيم الذي نحن فيه؟

- بالله عليك يا إيناس ماذا تقولين، هل جننتِ، كيف يمكن أن نعرف إن كان أفضل أو لا ونحن لا نعرفها، ولم نرها من قبل حتى؟

- لكن يمكننا البحث عنها، لعلّنا نجدها وننتقل للعيش معها، ونرتاح من سماع صوت هذه المرأة الشريرة التي لم تكتفِ بأخذ والدنا منّا

فقط بل إنّها تريد التخلص منّا وإخراجنا من البيت الذي كبرنا وترعرعنا فيه.

- وهل نستسلم ونتركه لها بهذه البساطة، أَتَرَيْنَ أنّ هذا هو الحل؟

- بالتأكيد لا يوجد حل آخر يا نبراس؛ فهي يستحيل أن تخرج من هذا البيت، والدنا يحبها كثيرا ربما حتى أكثر منّا، ولا سيما بعد أن أنجبت له الولد الذي لطالما حلم به.

قالت كلماتها هذه وحَنَتْ رأسها وانهمرت الدموع على وجنتيها، عندما رأتها نبراس على تلك الحالة قامت واعتدلت في جلوسها فوق السرير وأمسكت بيدَيْ أختها التي كانت تجلس بالقرب منها.

- أرجوكِ لا تبكِ، أنتِ تعلمين أنّ دموعك غالية على قلبي. أعلم أنّ الأمر ليس هيّن عليكِ لكنّ البحث عن خالتك لن يكون بهذه السهولة؛ فنحن لا نعرف عنها شيئا سوى أنّها غادرت الجزائر منذ سنوات وقبل ولادتنا حتى. لكن أريد منك أن تصبري، وأنا أعدك أنّي سأجد حلا في القريب العاجل، ثقي بي.

ابتسمت إيناس ولازالت الدموع في عينيها وارتمت في حضن أختها. وردّت عليها بنبرة حزينة:

- وهل يوجد من أثق به غيرك.

وفي هذه الأثناء سمعتا طرقات على باب غرفتهما. أسرعت نبراس وفتحت الباب، كان الطارق والدهما حسان.

- ألم أقل لكما مرارا لا تغلقا هذا الباب اللعين عليكما.

كان يتحدّث بنبرة صوت حادة ووجهه بدا عليه الغضب.

ابتسمت نبراس بسخرية وردّت:
- وهل لنا أن نعرف السبب أم أنّها أوامر الشيطانة زوجتك.
اشتد غضب الأب بعد هذه الكلمات، وقام بصفعها حتى ارتطم رأسها بالجدار، وأمسكها من معصمها وهو يعصر عليه قائلا:
- من تتحدّثين عنها هكذا هي والدة أخيك، هي من أنجبت ولي العهد الذي لطالما حلمتُ به. أنجبت من سيحمل اسمي بعد أن أموت، لذا عندما تفكّرين في التحدّث عنها تحدّثي بكلّ احترام ولا تفكّري بالإساءة لها مرة أخرى وإلّا رأيتِ منّي ما لا يروقك.

بقيت إيناس متسمّرة في مكانها من هول الصدمة، لم تستطع حتى الدفاع عن أختها الوحيدة، وكيف ستدافع عنها وتحميها من عنف والدهما الذي من المفترض أن يكون الصدر الحنون لهما والملجأ الآمن. لكنّ قسوة قلبه عليهما جعلت منه وحشا بلا رحمة ولا شفقة.

أشرقت شمس الصباح وهبّ نسيم الهواء البارد يحمل معه رائحة التراب الزكية بعد هطول الأمطار. وقفت ياسمين قرب النافذة وهي تحسي قهوتها الصباحية وتتأمّل، بعينيها الزرقاوين الطبيعة الجميلة حول منزلها، الذي تمكث فيه بفرنسا.

كانت ياسمين امرأة، في السابعة والثلاثون من عمرها، تملك جسما جميلا ورشيقا، متوسطة القامة ولها قوام مستقيم وبشرة، بيضاء. ترتسم الصرامة والاعتداد على وجهها. وبينما هي تستمتع بذلك المنظر لم تجد نفسها إلّا وقد سافرت بها ذاكرتها إلى الماضي

الذي لم تستطع نسيانه، وكلّما اعتقدت أنّها قد نسيته تجد نفسها تتمسّك بمعتقدات مزيّفة لا أساس لها من الصحة.

وفي هذه اللحظة قطع تفكيرها صوت الخادمة ندى:

- سيدتي لقد وصل وليد وهو في الردهة ينتظرك.

- حسنا ضيّفيه شيئا ريثما أجهّز نفسي.

جلس وليد وهو ينتظر قدوم ياسمين، كان يتأمّل الصور المعلقة على الجدران بما فيها صورة ياسمين وجومانا التي كانت تبدو فائقة الجمال، كان يتلمس الصورة وهو يبتسم، وفجأة شعر بيد على كتفه. التفت بسرعة ليجدها ياسمين.

ردّ قائلا:

- طاب صباحك عمتي الحبيبة. لقد أخفتني حقا.

ارتسمت ابتسامة مزيّفة على وجهها وردّت قائلة:

- لقد كنت شاردا مع صورة عمّتك جومانا، يبدو أنّها أعجبتك.

أطلق صوت قهقهة وردّ بكلّ عفوية:

- وكيف لا تعجبني وهي كانت أجمل عمّة. إنّ لجمالها سحر خاص، رغم أنّكما توأم إلّا أنّه لا يوجد شبه بينكما!

- أنت تعلم أنّنا توأم غير حقيقي. صحيح معك حق، لذا كان لها سحرها الخاص.

- أشاطرك الرأي وهذا سبب مصائبها وحظّها السيء!

- لم أفهم كيف ذلك، عن أي مصائب تتحدّثين عمّتي؟!

ضحكت ياسمين بسخرية وجلست على الأريكة وهي تضع ساقا فوق الأخرى وردّت بنبرة باردة:

- لا أقصد شيئا، دعك من هذا الآن وأخبرني كيف حال العمل معك؟

- الحقيقة أصبحت أنزعج منه كثيرا.

- ولكن لما، ما السبب؟!

- الفتيات اللّواتي يعملنّ في ورشة الخياطة عملهنّ لم يعد يعجبني هناك الكثير من الزبونات يشتكين منهنّ. كما أنّ هناك تلاعب واضح في الحسابات. أنا أفكر في تغييرهن ما رأيك؟

- وهل وجدت البديل؟

هزّ وليد رأسه نافيا.

- لا ليس بعد، لكن أعدك سأجده قريبا.

- لا عليك. دع هذا الأمر لي، أنا سأتدبرّه.

- وهل لديك الوقت للبحث عن عاملات؟

- لن أبحث، بل سأكتفي بإحضارهنّ فقط.

- أنا لا أفهمك يا عمتي.

- ستفهم في الوقت المناسب، لا تستعجل.

عادت نبراس للجلوس بالقرب من توأمها وتمسح على رأسها قائلة:

- لاتحزني لما فعل والدنا. والآن دعينا نذهب للجامعة لقد تأخّرنا.

بعد أن جهزت الأختان أنفسهما وبينما هما تهمّان بالانصراف استوقفتهما زوجة والدهما قائلة:

- إلى أين؟

توقفتا والتفتتا لها. أجابت إيناس دون أن ترفع رأسها:

- إلى الجامعة.

أطلقت نسرين ضحكة ساخرة وهي تضع يديها على خصرها وهي تحرّك قدميها بانفعال:

- ومن سيقوم بعمل البيت؟

ردّت عليها نبراس وشرارة الغضب تخرج من عينيها:

- لسنا خادمتين عندك لنعمل كلّ يوم قبل ذهابنا. هذا عامنا الأخير في الجامعة وبسببك فاتتنا الكثير من الدروس، إذا كنتِ غير قادرة على أعمال البيت فلما تزوّجتِ من والدنا أم أنّك لا تفلحينَ إلّا في إثارة المشاكل بيننا وبينه وتحريضه علينا؟!

رفعت نسرين يدها محاولة صفع نبراس لكنّها كانت أسرع منها وأمسكت معصم يدها ودفعتها بقوّة حتى وقعت أرضًا، ثمّ انهالت عليها بالضرب، وجذبتها من شعرها قائلة:

- إيّاك وأن تفكّري برفع يدك عليّ مرّة أخرى، ليست نبراس من تتلقى صفعة من شيطانة مثلك، وضربت رأسها على الأرض وغادرت وأختها، تاركتين وراءهما نسرين تبكي وتصرخ قائلة والدماء تسيل من فمّها:

- هلمّوا إليّ يا ناس، ابنتا زوجي ضربتاني وحاولتا قتلي.

كانت تبكي بطريقة مبالغ فيها كثيرا. فهي تعلم أنّ هذه فرصتها، بهذه الطريقة فقط تستطيع أن تصل إلى مبتغاها؛ لأنّها كانت تعلم جيدا أنّ ما أقدمت عليه نبراس سيجعلها تدفع الثمن غاليا.

وصلت الفتاتان إلى جامعتهما، وبعد الانتهاء من المحاضرات توجهتا إلى كافتيريا الجامعة لاحتساء القهوة وبينما كانتا تتحدّثان عن دراستهما والأعمال التي تنويان القيام بها بعد التخرج وضعت إيناس يديها على الطاولة، وقالت:

- لكن هل تظنّين أن والدنا سيغفر لك ما فعلتِهِ مع زوجِه، ويمرّر لك الأمر دون أن يعاقبك عليه؟!

استندت نبراس بظهرها على الكرسي قائلة وهي ترتشف قهوتها:

- أشك في ذلك؛ فأنّا متأكدة بمجرد عودتنا للبيت سوف آخذ جزائي على فعلتي، لكن لا يهمّ. المهم أنّي شفيت غليلي.

أومات إيناس برأسها، وقالت:

- لم يكن عليك فعل ذلك.

- لقد فعلت ولستُ نادمة، وإن تطلّب الأمر أن أفعلها مرّة أخرى سأفعلها.

في هذه الأثناء قاطع حديثهما شاب يدعى ستيفان. كان شابا وسيما، طويل القامة، يملك عينين عسليتين وشعرا أملسا كثيفا يتدلّى على كتفيه، وبشرة خمرية، وهو لا يعدو الرابعة والعشرين من عمره.

اقترب من الفتاتين قائلا:

- طاب صباحكما.
هل لي أن أتعرّف عليكما؟
ردت ايناس قائلة:
- بالطبع لا مشكلة، أنا اسمي إيناس وهذه أختي التوأم نبراس.
- واو رائع! لهذا السبب تتشابهان كثيرا. أنا أدعى ستيفان وأنا جديد في هذه الجامعة. هل يمكنني الجلوس معكما إن لم يكن لديكما مانع؟! فأنا لا أصدقاء لي حتى الآن.
أجابت نبراس قائلة بعد أن وضعت فنجان القهوة على الطاولة:
- ومن أنت حتى تجلس معنا؟!
جلس ستيفان على الكرسي الذي كان حول الطاولة وقال وهو يرسم ابتسامة على وجهه.
- يبدو أنّك لم تسمع!
- ألم أقل منذ قليل أدعى ستيفان وأنا من فرنسا، لقد جئت منذ شهر للعمل في الجزائر، فأنا أعمل في الوكالة السياحية.
تنهّدت نبراس وهي تبتسم بسخرية.
- وكيف؟
وقالت:
- يا ترى كيف وجدت العمل عندنا؟
- لا بأس به، في الحقيقة سمعت حديثكما دون قصد منّي، وأعجبتني أفكاركما ولاسيما الآنسة إيناس. لقد أحببت أفكارك العملية عن التصميم؛ فأنا أملك ورشة خياطة بفرنسا، وبما أنّي دائم الانشغال

عنها بسبب عملي الجديد، وعندما سمعتك تقولين أنّك تحبّين التصميم وتنوين العمل كمصممة أزياء بعد التخرّج سعدت لهذا وقلت لربما أرسلك الله لي في هذا الوقت بما أنّي كنت أبحث عن مصممة تعمل معي. ما رأيك؟

- إنّه اقتراح رائع حقا، ولكن...

- ولكن ماذا هل هناك ما يمنعك؟ أختك التوأم مثلا؟!

- لا الأمر لا علاقة له بأختي البتة. بل بوالدي أشك أنّه سيقبل عملي خارج أرض الوطن...

تنهّدت نبراس التي كانت تستمع للحديث طوال الوقت دون أن تعلّق بكلمة واحدة، إلى أن نهضت فجأة قائلة وهي تنظر في عيني أختها:

- ولا أنا سأقبل، والآن دعينا نذهب كفاكِ هراء.

جلس حسان بقرب زوجه نسرين بعد أن تناولت الدواء الذي وصفه لها الطبيب وغطت في النوم. كان يمسك بيدها ويضع يده الأخرى على رأسها، يمسح على شعرها برفق وحنان. وسرعان ما سمع صوت الباب، انتفض مسرعا وكأنّه كان ينتظر فتحه هذا بفارغ الصبر، وعندما رأى نبراس اندفع مسرعا نحوها وجذبها من شعرها وانهال عليها بالضرب دون رحمة ولا شفقة. علت الصرخات أرجاء المنزل. ارتبكت إيناس وهي ترى أختها تُضرب أمامها بهذه الطريقة العنيفة، لم تعلم ماذا تفعل وكيف تنقذها من بين يدي والدهما، وكلّ

ما على صوت صرخات نبراس من شدة الوجع كانت إيناس تضع يديها على أذنيها وتبكي بحرقة، ولم تلبث حتى وقعت عيناها على مزهرية كانت توضع على طاولة الطعام، أسرعت بحملها ودون تفكير ضربت بها رأس والدها الذي وقع أرضا بعد تلقيه تلك الضربة وسالت الدماء من رأسه، الأمر الذي أفزع الفتاتين وفرتا من المنزل...

جلست ياسمين على طرف السرير الموجود داخل القبو الذي تحبس أختها فيه، وضعت ساقا فوق ساق وتنهّدت وهي تحتسي قهوتها المسائية كما اعتادت. ووضعت يدها على رأس شقيقتها التوأم بعد أن وضعت فنجان القهوة فوق الطاولة الصغيرة الموجودة قرب السرير، وبدأت تمسح على شعرها قائلة:

- صدقيني لم أود الوصول إلى ما وصلنا له، لكنّك أنتِ السبب والمسؤولة الوحيدة لكلّ ما يحدث معنا الآن.

اتكأت برأسها على رأس أختها واختلطت ضحكتها مع دموعها وهي تمسك شعرها وتجذبه بقوة.

- نعم أنت السبب، لو أنّك رفضت الزواج ذلك اليوم من شخصي المفضل، الرجل الوحيد الذي احببته أكثر منك حتى، ورغم كلّ هذا أنت تجرأتِ وخطفتهِ مني. كيف لك أن تفعلي هذا بتوأمك الوحيدة، وكيف لي أن أسامحك على ما فعلتِهِ بي؟

ثم صرخت بصوت مرتفع وهي تمسكها من ذقنها وتحدّق في عينيها بعينين حمراوين تملؤهما الدموع.

- لا... لا يمكن أن أنسى أو أسامحك وأنت السبب في نزيف قلبي وضياع حياتي وشبابي. أنت لم تكتفِ بسرقته مني مرة واحدة بل مرتين. لذا يجب عليك أن تدفعي ثمن فعلتكِ.

بقيت نبراس وإيناس تركضان بسرعة حتى ابتعدتا عن منزلهما، كانتا تمشيان دون توقف حتى لا تعرفان إلى أين تتجهان في تلك الليلة الباردة والظلام الحالك.

كانت إيناس تبكي طوال الطريق وتردّد كلمات:

- هل مات؟ أيعقل أنّني قتلت والدي؟ لقد أصبحت قاتلة يا نبراس... أختك أصبحت قاتلة.

أمسكت نبراس بيدها ووقفت تتحدّث معها على حافة الطريق، قائلة:

- اهدئي أرجوك وأصغي لي جيدا، أنتِ لم تقتليه عمدا. أردتِ إنقاذي من بين يديه، ولم تكن نيتك قتله. لذا أرجوك توقفي عن لومِ نفسك فالملامة الوحيدة هي أنا؛ فأنا من تسببت في كلّ هذا. لو لم أفتعل تلك المشكلة مع زوجه المعتوهة لما حدث كلّ ما حدث. والآن دعينا نجد مكانا نمكث فيه ريثما نجد حلا لهذه الورطة.

وبينما هما تسيران في تلك المنطقة المظلمة اندهشتا لسماع صوت يناديهما. توقفتا لمعرفة صاحب الصوت والارتباك والخوف يكاد يقتلهما، التفتتا لتتفاجآ بستيفان، وقالتا في وقت واحد:

- ستيفان؟!

قالت نبراس:

- ماذا تفعل هنا، وما الذي جاء بك؟

أجاب وهو يلتقط أنفاسه:

- أنا من عليّ أن أطرح هذا السؤال عليكما؛ فأنا دائما أمارس رياضة الجري في هذه المنطقة. حسنا أخبراني ما الذي جاء بكما لهذه المنطقة المهجورة، ألا يفترض أن تكونا في بيتكما في هذا الوقت المتأخر؟!

ارتبكتا ولم تجدا إجابة، وبعد دقائق من الصمت ضحكت نبراس وأجابت:

- في الحقيقة حدثت مشكلة في البيت، وشبّ شجار بيننا وبين زوج والدنا. ولهذا السبب قرّرنا أن نترك لها البيت لبعض الوقت.

ابتسم ستيفان وهو يتظاهر بالتصديق وعرض عليهما الذهاب معه لبيت خالته ريثما يتحسّن الوضع مع والدهما. وافقتا دون تردد لأنّهما لا تملكان مكانا تذهبان إليه.

جلس وليد على مكتبه وشغّل حاسوبه وبدأ يتفحّص الرسائل المرسلة في الإيميل، وفجأة اتسعت حدقتا عينيه ورسم ابتسامة تعبِّر عن مدى سعادته. فلقد وصلت الرسالة التي كان ينتظرها بفارغ الصبر.

أغلق شاشة الحاسوب وأمسك بهاتفه فورا واتصل بعمته ياسمين. بعد رنين الهاتف بدقائق تمّ الرد عليه:

- نعم منزل السيدة ياسمين، من يريدها؟

أجاب:

- أنا وليد، هلا أخذتِ الهاتف لعمتي؟
- حسنا، أمهلني دقيقة فقط.
طرقت الخادمة ندى الباب وهي تنادي على سيدتها...
- هناك اتصال لك من ابن أخيك.
نظرت ياسمين للساعة...
- إنّها الواحدة ليلا ما الأمر المهم الذي يجعل وليد يتّصل في وقت متأخِّر؟!
- تفضلي.
دخلت ندى واعطتها الهاتف وانصرفت وأغلقت الباب خلفها.
وضعت ياسمين سماعة الهاتف على أذنها، قائلة:
- ألو... ما الأمر، لمَ تتصل في هذا الوقت المتأخِّر يا وليد؟!
ردّ و هو يضحك بسعادة:
- هاتي البشارة يا عمة...
- هات ما عندك يا وليد، فأنا لست في مزاج جيد.
- حسنا، أعدك بعد هذا الخبر سيتحسّن مزاجك.
- وما هو هذا الخبر؟ أطربني...
- لقد نجحت خطتنا، باتت الفتاتان في قبضتنا الآن.
كانت ندى لاتزال تقف خلف الباب وسمعت كل الحديث الذي دار بينهما. ركضت بسرعة للمطبخ وانهمرت بالبكاء وهي تحدّث نفسها:

- كيف لك أن تكوني بهذه القسوة سيدة ياسمين؟ ألا يكفيك ما فعلته طيلة هذه السنوات الماضية؟ ألم يشفِ ذلك غليلك بعد؟ إلى متى ستبقين تحميلن كلّ هذا الحقد وهذه الكراهية في قلبك؟

وصل ستيفان للمنزل مع نبراس وإيناس. كان الارتباك ظاهر عليهما ولاسيما عندما لم يريا خالته التي قال إنه يمكث معها.

لم تستطع نبراس السكوت اكثر فسألته قائلة:

- لكن أين خالتك التي أخبرتنا عنها؟ أنا لا أراها!

أجاب قائلا:

- لقد سافرت صباح اليوم إلى فرنسا، وأخبرتني أنّها ستعود بعد يومين.

احمرّ وجه نبراس من شدة الغضب وصرخت في وجهه:

- لكن كيف لم تخبرنا بهذا من قبل؟ لقد قلت بأنّها في المنزل.

ابتسم وردّ بكلّ برود:

- وهل كنتما لتقبلا بالقدوم معي لو علمتما أنّها غير موجودة في المنزل؟!

ردّت نبراس، قائلة ولازالت شرارة الغضب في عينيها:

- بالطبع لم أكن لأقبل لو كنت أعلم أنك وحدك في المنزل.

ضحك ستيفان بسخرية وردّ قائلا:

- يا إلهي ما خطبك يا فتاة؟ في أيّ عصر تعيشون؟ أصبحت هذه الأمور عادية في عصرنا الحالي.

- عادية في عصرك وبلدك أمّا نحن لازلنا نحتفظ بقيم إسلامنا.

أمسكت نبراس بيد أختها ودفعت ستيفان قائلة:

- ابتعد عن طريقي أيّها الوغد، لا أعرف كيف صدّقتك من البداية، وكيف وثقت بك وأنا بالكاد أعرفك.

وقبل أن تضع يدها على مقبض الباب حتى استوقفها بقوله وماذا يقول إسلامكم في قتل فتاتين لوالدهما؟!

تسمرت الفتاتان مكانهما بعد سماع كلماته وكاد قلبيهما أن يتوقفا عن النبض من شدة الخوف والتوتر، ولاسيما بعد رؤيتهما الشرطة تقف بالقرب من المنزل.

اقترب من الباب وفتحه واتكأ على الحائط وهو يشبك يده على صدره قائلا:

- ما رأيكما أن نعزمهم للعشاء معنا، يبدو أنهم مرهقون من شدة التعب؛ لأنّهم كانوا يبحثون عن مجرمتين قامتا بقتل والدهما وفرتا هربا من العدالة.

عضّت نبراس على شفتها وعادت أدراجها، فهي تعلم أنّ أيّ خطوة تقدم عليها تعدّ حماقة؛ لأنّها ستضرّ بها شقيقتها التي لم ترتكب هذه الجريمة إلّا لأجل إنقاذها.

أغلق ستيفان الباب وأمسك بذقنها قائلا:

- لا تحاولي التهوّر مرة أخرى، فهذا لن يكون لصالحك.

دفعت نبراس يده وردت قائلة:

- لا تلمسني بيدك القذرة، فأنا لن أضمن لك ردة فعلي في المرة القادمة.

ابتسم ورد عليها:

- أتعلمين أكثر ما يعجبني فيك هو جرأتك هذه. لكن لا أنصحك بالتعامل معي بها؛ لأنّها لن تجدي نفعا معي، اتفقنا. والآن اتّبعاني أدلّكما على الغرفة التي ستنَامان فيها الليلة ريثما أنتهي غدا من إجراءات سفركما، أو لنقُلْ سفرنا معا.

انسحبت الدماء من وجهها وردّت قائلة:

- ماذا تعني بسفرنا؟ إلى أين تنوي أخذنا، ومن أخبرك أنّنا نود السفر؟

- لا أحد، أنا من يقرّر هنا، ولا أحتاج لأخذ الأوامر من أحد حتى أنفّذها، فهمتِ يا جميلتي؟

- لا لم أفهم ولا أودّ أن أفهم، أخبرني من أنت وماذا تريد منّا؟

- أتعلمين؟ أنتِ فتاة ثرثارة وأنا أكره هذا النوع. لم لا تتعلّمين الهدوء من توأمك؟ ألا تريْن أنّها لم تنطق بكلمة واحدة منذ وصولنا عكسكِ أنتِ... والآن... هلا صعدتما لغرفتكما؟ فلقد بدأ ينفذ صبري، ولا أريد استعمال العنف معكِ... الحقا بي.

مشت الفتاتان خلف ستيفان وحين وصلوهما للغرفة فتحها قائلا:

- هذه أفضل غرفة في البيت، أتمنى أن تنال إعجابكما، لكن إياكما والتفكير بالهروب...

خرج ستيفان وأغلق الباب، ركضت نبراس مسرعة نحو باب الغرفة وعندما أرادت فتحه تفاجأت، فقد تمّ قفله، تمتمت في غضب قائلة:

- لقد أغلقه وحبسنا هنا، وكأنّنا في سجن... اللعنة...

ابتسمت إيناس وقالت:

- وهل هو غبي حتى يترك لك الباب مفتوحا؟ كفاكِ سذاجة يا أختي... لا أعلم من أين حلّت علينا هذه المصيبة الآن. كيف علم أنّني قتلت أبي؟

ما إن نطقت إيناس هذه الكلمة حتى امتلأت عينيها بالدموع.

أطرقت رأسها وهتفت من بين دموعها:

- كيف يمكن لضميري أن يرتاح بعد هذا الفعل؟

جلست نبراس بجوارها وقامت باحتضانها وهي تمسح على رأسها قائلة:

- لستِ المذنبة، كلّ ما حدث سببه أنا.

ردّت إيناس وهي تمسح دموعها بكمّ ثوبها:

- بل أنا، أنت لا طالما صبرتِ على معاملة والدنا القاسية لك دون أن تشتكي، ولم تقتليه، أنا من قتلته، نعم أنا...

- توقفي عن قول هذا، أخبرتك سابقا أنتِ لم تفعلِي ذلك عمدا. دعينا نفكّر كيف سنهرب من هذا المكان اللعين...

استيقظ ستيفان في الصباح الباكر على رنين هاتفه، رفع سماعة الهاتف وهو بالكاد يفتح عينه، وقال:

- ألو... من المتصل؟

- يبدو أنّك أصبت بفقدان الذاكرة.

عند سماعه الصوت اعتدل في الجلوس وفتح عينيه قائلا:

- أمي، أهذه أنت. أعذريني، فأنا لم أنتبه على الرقم.

ردّت بنبرة حادة:

- أرجو أن تنتبه في المرة القادمة...

- بالتأكيد سأنتبه.

- لا عليك أخبريني كيف حالك؟ لقد اشتقت لك.

- ومنذ متى كان بيننا اشتياق؟

- دعكَ من هذا الآن. أخبرني هل أنهيت ما طلبته منك؟

- نعم كلّ شيء على ما يرام لا تقلقي غدا صباحا سنكون عندك.

- جيد، والآن سأقفل، انهض كفاك نوما، تعلَمُ أنّي لا أحبّ الأشخاص الكسالى.

ابتسم ستيفان بسخرية وهو يهتف:

- أشخاص نعم أشخاص، لم أركِ توقفت عند هذه الكلمة؟!

وقبل أن يجيب قطعت الاتصال...

شعر ستيفان باستياء كبير بسبب معاملة والدته له، وقام برمي الهاتف أرضًا، ووضع يديه على وجهه وأجهش بالبكاء؛ فهو طالما تمنّى أن يسمع كلمة تعبّر عن حبها له وتحسسه لمرة أنّه ابنها، وليس مجرّد خادم يقضي لها مشاغلها وأعمالها.

وبعد معركة طويلة مع أفكاره، جلسة ومسح دموعه وهو يخاطب نفسه كفاك تفكيرا، منذ متى تعتبرك ابن لها؟ نهض وتوجّه إلى الغرفة التي توجد فيها نبراس وإيناس.

وقبل أن يفتح الباب طرق مرّتين، ونادى عليهما:

- سوف أفتح الباب هل كلّ شيء بخير؟

وعندما لم يجبه أحد، فتح الباب وسرعان ما قام بدفعه حتى انقضت عليه نبراس محاولةً ضربه، وبحركة سريعة منه استطاع إمساك يدها ودفعها أرضا حتى ارتطم رأسها بالأرض وأمسكها من رقبتها وهو يشدّ بقبضة يده، وهو يعضّ على أسنانه بغضب...

- هل جننتِ يا فتاة، أتريدين قتلي كما قَتلت أختك والدكما؟!

وفي هذه الأثناء أمسكت إيناس مزهرية وضربته بها على رأسه. لكن لحسن حظه لم تكن الضربة قوية، وقف ستيفان وهو يضع يده على رأسه الذي كان يسيل منه القليل من الدماء بسبب تلك الضربة. توجه نحو إيناس وأمسك معصم يدها قائلا:

- يبدو أنّك اعتدتِ على جرائم القتل، وأصبحتِ بارعة فيها.

وعندما رأت إيناس تلك الدماء تسيل من رأسه بدأت تبكي وهي تضع يدها على فمها قائلة:

- أنا حقا آسفة، لم أكن أقصد ذلك، أرجوك سامحني.

ابتسم قائلا بعد أن أمسك يدها، وضغط على أصابعها بقوة وهو يمسح قطرات الدم التي كانت في يده على وجهها...

- أترين هذا الدم؟! أعدك ستدفعان ثمنه غاليا.

ثم دفع بها قرب أختها.

- والآن جهزا أنفسكما سوف نذهب لأخذ صور لكما لأجل جوازات السفر...

ارتدى وليد معطفه الطويل الأسود وخرج مسرعة لاستقبال ضيوف عمته.

وقف وليد في المطار وهو يطّلع على ساعته بين الحين والآخر في توتر، وبعد مرور ساعتين على إعلان المضيفة وصول الرحلة القادمة من الجزائر إلى فرنسا، ها قد ظهروا أخيرا وحين عبروا البوابة أسرع وعانق ستيفان وهو يضرب على كتفيه قائلا:

- كيف حالك لقد اشتقت لك يا رجل.

بادله ستيفان نفس الشيء، وردّ:

- سعيد أنّ هناك من اشتاق لي.

تقدّم وليد وألقَى التحية على نبراس وإيناس قائلا:

- طاب مسائكما آنساتي، أتمنى أن تكونا بخير؟

لازمت الفتاتان الصمت، ولم تجيبا ولا بكلمة. استغرب وسأل ستيفان:

- ما بهما؟ هل هما صماوتان؟

أجاب ستيفان:

- لا، يبدو أن القط أكل لسانهما.

أطلق كلّ من ستيفان ووليد ضحكة سخرية، الأمر الذي أزعج الأختين. واحمرّ وجه نبراس ولم تستطع السكوت أكثر. وردّت بغضب:

- لم يكذب من قال الضحك بلا سبب من قلّة الأدب!

رد عليها وليد:

- أو... جيد أنّ قلّة أدبنا أعادت لك القدرة على الكلام مجددا.
ابتسمت نبراس قائلة:
- لم أفقد قط القدر على الكلام، بل أفقد القدرة على التحدّث مع قذرين مثلكما.
حرّك وليد براسه يمينا ويسارا واقترب خطوة نحوها وجذبها من ذراعها، وهمس في أذنها:
- إياكِ ومحادثتي بألفاظك السوقية هذه مرة أخرى، وإلّا رأيتِ منّي تصرفا لن يروقك.
حاولت جذب ذراعها منه لكنّ قبضته كانت أقوى من محاولاتها، صرخت في وجهه:
- أفلت ذراعي أنت تؤلمني.
ابتسم وردّ بكلّ برودة:
- لن يحدث هذا إلّا بعد ركوبك السيارة، هيا تعالي معي.
توجّه وليد نحو سيارته التي كانت بالقرب من المطار، وفي نفس الوقت أمسك ستيفان بيد إيناس ولحق بهما.
صعد الأربعة في السيارة وانطلق وليد باتجاه منزل عمته، كانت نبراس شاردة طوال الطريق تفكّر في مصيرها وأختها في هذا البلد الذي لا تعرفان أحدا فيه، حيث لم يخطر على بالهما ولو لمرة أنّه سيأتي يوم تذهبان إليه بهذه الطريقة الغريبة والمجهولة! وفور وصوولهم نزلوا من سيارة. عبس وجه ستيفان عندما بدأ وليد يطرق الباب، وهمّ بالذهاب قبل أن يفتح. أمسكه وليد من يده وقال:

- ما خطبك يا رجل؟ إلى أين تذهب؟

حنى رأسه قائلا:

- وما الفائدة من بقائي وأنا أعلم أنّه لم يعد لي أيّ أهمية، فَمهمّتي قد انتهت.

ردّت عليه نبراس قائلة:

- عن أيّ مهمة تتحدّث؟ أليس هذا منزل والدتك؟ مالذي يحدث هنا؟ هلا وضّح لنا أحدكم ماذا يحدث؟ من أنتم؟ مع من تتعاملون؟ وما ذنبي أنا وأختي؟ أريد تفسيرا حالا.

أجابها ستيفان قائلا:

- أنت بالذات التزمي الصمت، فأنا لست في مزاج جيد الآن لسماع ثرثرتك المزعجة فهمتِ؟

- لا، لم أفهم، ما أريد فهمه لما جئتم بنا إلى هذا المنزل؟

وفي هذه الأثناء فتحت الخادمة سوزان الباب، كانت هي أصغر الخادمات في ذلك البيت، ابتسمت عند رؤيتها لستيفان، ورحّبت بهم بوجه مبتسم.

شعرت إيناس ببعض الاطمئنان بعد رؤيتها لسوزان فبادلتها الابتسامة هي الأخرى. أما نبراس زادت حيرتها وانزعاجها أكثر، وردّت بكلّ سخرية:

- ومن هذه أيضا؟ أهي إحدى ضحاياكم؟

اقتربت سوزان منها وهي تضحك ببراءة.

- عن أيّ ضحايا تتحدّثين يا سيدتي؟ أنا سوزان خادمة السيدة ياسمين.

- ومن هذه أيضا؟

انزعج ستيفان من كثرة أسئلتها وأمسكها من يدها وجذبها إلى الداخل قائلا:

- يا لكِ من فتاة مزعجة حقا. ادخلي وتوقفي عن هذه الأسئلة التي لن تجدي لها أجوبة.

أسرعت إيناس خلفه وهي تطلب منه أن يترك أختها، لحق بها وليد أمسك يدها يطمئنها.

- لا تقلقي، لن يؤذيها.

بقيت نبراس تصرخ:

- اترك يدي، أنا لا أريد الدخول لمنزل مجرمين مثلكم.

وبعد دخولهم دفعها ستيفان على الأريكة الموجودة داخل الردهة وصرخ في وجهها...

- توقفي عن تصرفاتك الصبيانية هذه، سوف تصيبني بالجنون.

وفي هذه الأثناء كانت ياسمين تقف على الدرج وقالت:

- عن أيّ مجرمين تتحدّث هذه الفتاة قليلة الأدب؟

التفت الجميع لرؤية المتحدّثة وحين رأوها رُسمت الدهشة على وجوههم. كانت ياسمين تقف على الدرج في أجمل حلّتها، ترتدي فستانا أسود أنيقا مع قبعة بيضاء صغيرة تضعها على رأسها بشكل مائل بالكاد تغطي شعرها.

وقفت نبراس وأجابت بكلّ ثقة:

- أنا من قلتها ومتأكّدة أنّي لم أخطئ لوصفكم بهذا الاسم.

أمسكها ستيفان من يدها وهو مرتبك.

- اصمتي أرجوكِ، تقحيمين نفسك في مشاكل أنتِ في غنًى عنها.

نفضت يدها عنه وردت باسمة بسخرية.

- منذ متى يهمّك أمري يا هذا، وكأنّك لست سبب كلّ ما نحن فيه الآن؟!

نزلت ياسمين متجهة إلى نبراس لتفاجئها بصفعة قوية على الوجه.

- ألا تعلمين أنّه عليك غسل فمك بماء الذهب قبل التحدّث عن اسم هذه العائلة؟!

انزعجت نبراس واحمرّت عيناها من شدّة الغضب. وردّت وهي تمسح على خدّها:

- بل سوف أبصق كلّما رأيت اسمَكم.

انفعلت ياسمين ورفعت يدها محاولة ضربها مجددا قائلة:

- يا لك من عديمة التربية حقا.

وقبل أن تتلقى نبراس الصفعة الثانية جذبها ستيفان بحركة سريعة وأوقفها خلف ظهره، وصرخ قائلا:

- يكفي يا أمي ليس هكذا تسوى الأمور.

اتسعت عينا نبراس وقالت:

- إذن هي والدتك، لم أندهش كثيرا فطبعكم الإجرامي متشابه.

اقتربت إيناس منها وأمَسكت ذراعها قائلة:

- اصمتي قليلا يا أختي، ألا تتعبين من افتعال المشاكل؟!
- لم أقل إلّا الحقيقة أو ليس هو الذي اختطفنا وجاء بنا لهذا البيت اللعين.

التفت ستيفان لها، وردّ قائلا:
- فتاة لئيمة حقا، كان يفترض عليّ تركها تلقّنكِ درسا لا ينسى.

أطلقت ياسمين ضحكة سخرية، وجلست على الأريكة ووضعت ساقا على الأخرى واتكأت بظهرها إلى الخلف وهي تضع يدها تحت خدها قائلة:
- اه يا بني، يبدو أنّك أصبحت محاميا دون علمي...

نادت ياسمين سوزان وطلبت منها أخذ الأختين لغرفتهما. فعلت سوزان ما طُلب منها، وفور وصولهما للغرفة فتحتها لهما وقالت:
- أهلا بكما، هذه غرفتكما، وإن احتجتما لأيّ شيء ناديا عليّ، أنا في خدمتكم في أيّ وقت.

شكرت إيناس سوزان على لطفها، أما نبراس اكتفت بابتسامة ساخرة.

دخلت الفتاتان الغرفة وما إن أغلقت نبراس الباب حتى رمت بنفسها فوق السرير وانفجرت باكية، جلست إيناس بقربها وربتت على كتفها محاولة تهدئتها، قائلة:
- لن يفيدنا البكاء بشيء يا أختي، ألستِ أنتِ من يقول لي دائما إن الحياة معركة ويجب علينا أن نكون المنتصرين فيها، وألّا نفقد الصبر والقوة مهما حدث، وفي النهاية يكون النصر فيها لمن يتحمّل لكماتها.

استبشرت نبراس بعد هذه الكلمات وجلست وعانقتها بحب، وقالت:

- معك حق يجب أن ننتصر.

وقفت نبراس أمام النافذة ألقت نظرةعلى الحديقة التي توجد في الخارج، كانت تملؤها الأزهار الجميلة من كلّ نوع. حرك ذلك المنظر الجميل رغبتها في استكشاف المكان، لكن سرعان ما تذكّرت أنّها ليست إلّا سجينة في هذا البيت ولن تستطيع فعل ما تريده. فاكتفت بالتجوّل في الغرفة التي منذ دخلتها غمرها شعور مريح وكأنّ هناك ما يربطها بها. انتهت من التجوّل، وفجأة سرى في نفسها نوع من الانقباض ودون أن تشعر وجدت نفسها تستلقي على السرير، وبينما كانت تحدّق في السقف وهي تتحدّث مع أختها لم تدرك كيف ومتى نامت.

كانت ندى منهمكة في تحضير طعام الغداء حين دخلت عليها سوزان المطبخ وهي تضحك. استغربت وسألتها:

- ما خطبك يا فتاة؟ ما الذي يدعوك إلى الضحك بهذه الطريقة؟!

- أنا سعيدة لأنّه وأخيرا جاء من يقف في وجه المغرورة والمتعجرفة ياسمين.

- ومن يكون هذا الشخص الذي يملك كلّ هذه الشجاعة والجرأة؟!

- إنّها الضيفة التي وصلت صباح اليوم برفقة السيدين وليد وستيفان، فتاة قوية وشجاعة لقد أحببتها كثيرا قبل حتى أن أتعرّف عليها.

ردّت ندى باسمة:

- وهل هذا الحب لأنّها قويّة فقط، أو لأنّها انتقمت لك من ياسمين المتعجرفة؟

- الاثنان معا.

أطلقت كلّ من ندى وسوزان ضحكة سعادة وكأنّهما تحتفلان بالانتصار في معركة. وبعد الانتهاء من تحضير طعام الغذاء جهّزتا المائدة.

التفّ الجميع حول مائدة الغذاء ماعدا الأختين نبراس وإيناس، وبدأت ندى وسوزان تسكبان الطعام بعد الانتهاء طلبت منهما ياسمين أن تخبر إحداهما نبراس وإيناس أنّ الغذاء جاهز، وأنّهم في انتظارهما. هزّت سوزان رأسها موافقة.

- حسنا سيدتي سوف أذهب لإخبارهما.

وبعد لحظات من النوم أيقظتها طرقات متردّدة على باب الغرفة، رفعت رأسها في استغراب عندما لم تجد إيناس بجوارها. نادت على إيناس:

- أين أنت؟

أجابتها:

- أنا في الحمام لا تقلقي، افتحي الباب فأنا لازلت أستحمّ.

ردّت عليها:

- حسنا سوف أفتحه الآن، المهم أنّك بخير.

وقفت في ارتباك واقتربت من الباب، هتفت قبل أن تفتح:

- من هناك؟

جاءتها الإجابة بصوت رقيق:

- هذه أنا سوزان.

وبعد أن اطمأنت أسرعت بفتح الباب، كانت سوزان تقف أمام الباب بنظرات باسمة، بادلتها نبراس نفس الابتسامة ثم سألتها بتردد:

- هل من مشكلة؟

أجابت سوزان:

- لا توجد أيّ مشكلة آنستي، السيدة ياسمين طلبت منّي إخباركما أنّ الغداء جاهز، والجميع في انتظاركما.

تنهّدت نبراس وأخذت نفسا عميقا، ثم ردّت بنبرة حادة:

- اذهبي وأخبري سيدتك الشيطانة أنّنا نفضل الموت على الجلوس على مائدة تجمعنا مع عائلة قذرة كعائلتها، ولا داعي لأن تتعبي نفسك مرّة أخرى.

أنهت نبراس كلامها وأغلقت الباب، في هذه الأثناء كانت إيناس تقف خلفها وهي تتجفف شعرها الطويل الأسود. سمعت كلّ ما دار بين نبراس وسوزان. جلست على طرف السرير وهي تمشط شعرها الناعم، سألتها:

- أتعلمين ماذا فعلتِ الآن؟
أجابت نبراس بعد أن استلقت فوق الفراش:
- بالتأكيد أعلم. هل يزعجك ما فعلته؟
- نعم يا أختي، يزعجني كثيرا، أنتِ تعلمين أنّ تصرّفاتك المستفزة هذه لن تفيدنا بشيء، بل ستجلب لنا الكثير من المشاكل وسوف تعقّد علينا الأمر أكثر. يجب أن نتصرّف بحكمة وصبر مع هذه العائلة، علّنا نصل لحل معهم.

اتسعت عينا نبراس، ونهضت عن السرير ووقفت قرب النافذة ورمقت أختها بنظرة انزعاج قائلة:
- بالله عليك، عن أيّ حكمة وصبر تتحدثين؟ تظنّين نفسك في مسلسل درامي! يجب أن تستوعبِي أنّه تمّ اختطافنا وأخذنا لبلاد ومكان لا نعرفه حتى، ولا نعرف فيه أحد. كيف تطلبين منّي أن ألتزم الصمت، أو أن أتحلى بالصبر وأنا لا أعلم ما الذي مزال ينتظرونا في هذا المكان اللعين؟

نزلت سوزان وأخبرت ياسمين بكلّ ما قالته نبراس لها. انسحب الدم من وجهها عند سماعها تلك الكلمات، وضربت يدها على مائدة الطعام ورمت كلّ الأكل الموجود عليها على الأرض.
- كيف تجرؤ هذه القروية الرخيصة على نعتي بالشيطانة، سوف أجعلها تدفع الثمن.

انتفضت متوجهة إلى غرفة نبراس وأختها. كانت نار الحقد والغضب تخرج من عينيها، وعندما رآها ستيفان على ذلك الحال أسرع باللحاق بها وقبل أن تصعد الدرج أمسك بيدها.

- أرجوكِ يا أمي اهدئي وتريّثي قليلا.

دفعته بقوة...

- كيف تطلب منّي الهدوء؟ ألم تسمع ما قالته تلك المعتوهة؟

عاد وأمسك بيدها وربت عليها قائلا:

- بالطبع سمعت وأنا أعدك أنّني سأجعلها تدفع ثمن كلّ كلمة قالتها، فقط دعي الأمر لي... اتفقنا؟

هزّت ياسمين رأسها موافقة، وردّت:

- لا بأس، سوف أدعك تتولّى هذا، وأتمنى أن تكون عند حسن ظنّي، وإلّا دفعت أنت الثمن بدل عنها هي.

صعدت ياسمين لغرفتها، وفور ذهابها اتّجه ستيفان لغرفة الأختين. وبينما هما تتناقشان قطع نقاشهما طرقات الباب، كان ستيفان يطرق بغضب. ارتبكت إيناس وشعرت بالخوف، وقالت وهي ترتجف:

- ألم أخبركِ أنّك سوف توقعيننا في مشكلة كبيرة؟ ماذا سنفعل الآن؟

- لا تقلقي، سوف أحلّ الموضوع.

اقتربت نبراس من الباب وسألت:

- من؟

أجاب ستيفان:

- افتحي هذا الباب وإلا حطمته على رأسكما الآن.

وسرعان مافتحته حتى أمسكها ستيفان من ذراعها وجذبها خارج الغرفة دون أيّ كلمة. كانت تضربه وهي تصرخ:

- دعني وشأني، من تظنّ نفسك؟ دعني أيّها المعتوه.

ركضت إيناس خلفهم وهي تبكي وتتوسّل أن يدعها وبينما هي على تلك الحالة أُغمي عليها ووقعت أرضًا.

وعندما رأتها نبراس شعرت بالخوف وبدأت بالصراخ وهي تبكي...

- دعني أطمئن على أختي.

وحاولت كثيرا جذب ذراعها من ستيفان لكن دون جدوى. أسرع وليد الذي كان يقف خلفهم وراء كلّ ما حدث، حمل إيناس وصعد بها للغرفة ووضعها فوق السرير. أمسك منديلا أبيضا وسكب عليه القليل من الكحول ومسح به على أنفها، وبعد لحظات بدأت تستعيد وعيها. كانت مغمضة العينين تتمتم بكلمات بالكاد تسمع، اقترب وليد منها ووضع أذنه قرب شفتيها علّه يسمع ما تقول لكنّه لم يفهم شيئا سوى اسم نبراس الذي كانت تكرره. أخذ كرسيا وجلس بالقرب منها وأمسك يدها وبدأ يمسح على رأسها مواسيا لها.

- لا تقلقي، ستكون أختك بخير.

فتح ستيفان باب السيارة ودفع نبراس داخلها وسرعان ما أغلقه حتى بدأت تضرب بابها، وهي تصرخ:

- لينقذني أحدكم من هذا الوحش، لقد اختطفني...

ركب السيارة وأمسك بالمقود وقبل أن ينطلق ردّ عليها:

- لا تتعبي نفسك بالصراخ، فلا أحد يستطيع إنقاذك من بين يدي.

كانت ياسمين تقف قرب النافذة وهي تبتسم بسعادة بعد أن رأت كلّ ما حدث. تنهّدت وهي ترتشف قهوتها قائلة:

- كم أنا فخورة بك يا بني.

استيقظت إيناس مفزوعة والعرق يتصبّب منها. كان وليد لايزال يجلس بقربها وعندما رآها على ذلك الحال سألها:

- ما خطبك؟ هل أنت بخير؟

أجابت والدموع تنهمر من عينيها:

- أين ذهب بأختي؟

اتّكأ وليد على الكرسي ووضع يديه خلف رأسه.

- أتصدّقينني إن أخبرتك أنّني لا أعلم إلى أين ذهب بها؟!

هزّت رأسها نافية...

- لا أظنّ أنّك لا تعرف، بل دعنا نقول لا تود إخباري فقط.

- أنتِ مخطئة، أنا حقا لا أعرف شيئا عن المكان الذي أخذ ستيفان أختك له. كلّ ما أعرفه أنّ عمتي طلبت منه جعلها تدفع ثمن كلامها الجارح لها. وإن شاطرتني الرأي أختك تستحق ما حدث معها؛ لأنّها فتاة متهوّرة وغير مهذّبة، وعمتي تكره هذا النوع من الناس.

حنت رأسها قائلة:

- لطالما نصحتها، لكنّها لم تكن تكترث.

- إذن دعيها تعاقب الآن علّها تصغي لنصيحتك في المرة القادمة. والآن أستأذنك عليّ الذهاب إلى عملي.

وقف وليد واقترب من الباب وقبل أن يفتحه استوقفته إيناس.

- أودّ أن أسألك... أريد إجابة واضحة إن أمكن.

التفت وليد وابتسم...

- أعلم ما هو سؤالك، لا شك أنّك تريدين معرفة سبب إحضاركِ أنت وأختك إلى فرنسا.

هزّت إيناس رأسها...

- نعم، من أنتم ولم نحن هنا؟ أخبرني أرجوكَ.

- أنا آسف حقا، لكن ليس لدي الحق في إخبارك عن هذا الأمر، فهذا الموضوع يخصّ عمتي ياسمين فقط. فهمتِ...

هزّت رأسها:

- نعم فهمت. لكن ماذا تريد عمتك منّا ولم نحن بالتحديد؟!

تنهّد وليد وأجاب:

- كما أخبرتك منذ قليل، لا أحد لديه الإجابة على هذه الأسئلة سواها. أستأذنك الآن.

وصل ستيفان إلى كوخ مهجور وسط غابة كثيفة، نزل من السيارة وفتح بابها الآخر، وأخرج نبراس وحين رأت ذلك المكان المظلم شعرت بالخوف، وسألته في ارتباك:

- لم جئت بي إلى هنا؟ مالذي تنوي فعله؟

لم يجب على أي سؤال، اكتفى بالصمت وفتح باب الكوخ وأمسكها من ذراعها ودفع بها داخله. كان المكان مظلم، بحث كثيرا حتى وجد شمعة أخرج قداحة من جيبه وأشعلها ووضعها فوق طاولة خشبية سوداء على شكل مربع كان يوجد عليها بعض الحبال أخذ ينظر إليهم وإلى نبراس، عندما رأته ينظر إليها بتلك الطريقة وهو يبتسم شعرت بالرعب، وسألته مرتبكة:

- لم تنظر إليّ هكذا؟ ما خطبك يا هذا؟

أحضر كرسيا خشبيا وأمسكها من يدها وجرّها. حاولت التخلّص منه وهي تصرخ وتضربه...

- اترك يدي... إلى أين تذهب بي؟

دفعها على الكرسي واقترب منها وأمسك الحبل وربط يديها وقدميها به بقوة. صرخت في وجع:

- أرجوك فكّ قيدي، إنّك تؤلمني. لم تربطني ما الذي فعلته لأستحق كلّ هذا منك؟ أنت شخص قاسٍ وعديمُ الرحمة حقا.

جرّ ستيفان كرسيا آخر وضعه أمامها وجلس عليه وقال:

- ألم أخبرك من قبل ألّا تستفزيني، ولا تجعليني أفقد صبري؛ لأنّك سترين منّي ما لا يروق لكِ. أخبرتك أم لم أخبركِ؟! لكن ما الذي فعلته أنتِ؟ لم تكتفي بإزعاجي أنا فقط بل أصبحتِ تضايقين حتى والدتي... إذن فلتتحملّي نتيجة أفعالك.

صرخت نبراس في وجهه:

- لكن أنت ووالدتك من بدأتما. كيف أردت مني السكوت وأنتما تحتجيزوننا في بيتكما دون أن نعرف حتى سبب ذلك.

ابتسم ستيفان وردّ:

- عذرك أقبح من ذنبك يا فتاة.

وقف مبتعدا عن الكرسي، ثم ركله بقدمه على الأرض. عندما رأته يستعدّ للخروج نادت عليه...

- هاااي أنت هل ستتركني هنا لوحدي؟

توقف واستدار عندها بنصف وجهه نظر إليها بنظرة اللامبالاة...

- وهل لديك مانع؟

- بالطبع لديّ. كيف تريد تركي في مكان مهجور كهذا؟

ضحك ستيفان بسخرية وأجاب:

- في الحقيقة لم أجد مكانا مناسبا أكثر لأشخاص ثرثارين مثلك كهذا! آه... كدت أنسى شيئا.

فتح صندوقا خشبيا بنيا وأخرج منه وشاحا أحمرا، اقترب ووضعه على فمها كانت تحرّك رأسها وتضرب بقدمها بصعوبة على الأرض، ربط ستيفان فمها ثم خرج وأغلق الباب خلفه بإحكام...

مضى الليل بطوله دون أن يغمض لنبراس جفن، أشرقت شمس الصباح تحمل خيوطها الذهبية التي كانت بالكاد تراه من فتحة الكوخ الصغيرة. كانت تراقب الباب كمراقبة الجنود لأعدائهم أثناء الحرب.

بعد ساعات من الانتظار والمراقبة سمعت صوت سيارة استبشرت وتعلّقت عيناها بالباب في لهفة. دفع ستيفان الباب بقدمه ودخل وهو يحمل الحطب بين ذراعيه، وبعض أكياس الطعام التي كان يشدّها بأصابع يده وضعها على الطاولة. كانت نبراس تحرّك رأسها كأنّها تريد قول شيء، اقترب منها وأنزل الوشاح عن فمها وسرعان ما نزعه حتى بدأت تسعل بقوة وكأنّها أصيبت بضربة برد. أخرج قارورة ماء صغيرة من أحد الأكياس التي وضعها على طاولة ووضعها بالقرب من فمها لتشربه وبعد أن انتهت، أغلق القارورة وأعادها لمكانها، نظرت نبراس إليه وهي تسأله:

- ألا تنوي فكّ رباط يديّ؟ أشعر بالجوع وأريد تناول شيء.

أجابها باسما:

- كلا، بل سأطعمكِ بنفسي. إيّاك أن تفكرّي حتى مجرّد تفكير، وانتهى الأمر.

رفع الكرسي الذي كان واقعا على الأرض، وضعه أمامها وهو يحمل كيس طعام بيده، جلس وفتحه ثمّ أخذ قطعة صغيرة من الخبز وضعا فوقها القليل من الجبن، وعندما أراد إطعامها قامت بعضّ إصبعيه الاثنين. صرخ وهو يسحب يده من بين أسنانها...

- اللعنة عليك أيتها اللئيمة... كيف تجرئين على فعل هذا؟ لقد طلبت منك فكّ يداي ولم أطلب منك إطعامي، فأنا قادرة على إطعام نفسي.

اتّجه خلفها وشدّها من شعرها، وجذبها نحوه وهمس في أذنها...

- يبدو أنّك أصبحتِ وحشا يتغذّى على لحوم البشر!

صرخت وهي تغمض عينيها من شدّة الوجع قائلة:

- اترك شعري أيّها المعتوه، أنت تؤلمني. لا يوجد وحش غيرك هنا. أنا أكرهك حقا...

- شعور متبادل صدقيني...

ترك ستيفان شعرها، ووقف أمامها وهو يقول:

- أتعلمين؟ تعرفت على الكثير من الفتيات الجريئات والعنيدات لكن لم يسبق أن رأيت فتاة بجرأتك وعنادك. لكنّني سأنصحك وللمرة الأخيرة، إيّاكِ والتعامل معي بهما فهذا لن يكون لصالحك أبدا.

ابتسمت بسخرية وردّت:

- وأنا أعدك لن ترى مني غيرهما.

نهضت إيناس لتفتح الباب بعد أن سمعت طرقات خفيفة عليه...

- من هناك؟

- هذا أنا وليد، افتحي الباب أحتاجك في موضوع مهم.

فتحت الباب في لهفة...

- هل الموضوع يخصّ نبراس؟

- للأسف لا.

حنت إيناس رأسها في إحباط كبير، فهي كانت تود أن يحمل لها هذا اليوم الجديد خبرا مطمئنا عن أختها.

- إذن ما هو موضوعك؟
- نتحدّث هنا، ستتركينني واقف هكذا عند الباب؟!
- اه أنا آسفة، أعذرني على هذا التصرّف. تفضّل بالدخول البيت بيتكم ونحن الضيوف عندكم.

ابتسم وليد ثم دخل وجلس على الكرسي وهو يقول:

- كم أنتِ مهذّبة حقا. ليتَ أختك تتعلّم منك، أنتما توأم متشابه لكنّ تصرفاتكما غير متشابهة على الإطلاق.

جلست إيناس على طرف السرير وردّت:

- أختي طيبة القلب وحنونة، هي فقط لا تحبّ الظلم والسيطرة من أحد، أنتم لا تعرفونها فقط.
- وهل تركت لنا المجال لمعرفتها؟ منذ قدومها للمنزل وهي تسبّنا وتشتمنا.
- وماذا كنت تتوقع منها بعد أن وجدت نفسها تختطف وتحبس بالغصب في مكان لا تعرف فيه أحد؟
- ليست الوحيدة التي جلبت إلى هنا بالغصب، أنت أيضا أحضرت معها لكنّك هادئة وعاقلة عكسها تماما.
- أنت لن تفهم طبعها صدقني.
- ولا أود أن أفهمه.
- والآن دعينا من هذا فهذا ليس الموضوع الذي جئتك لأجله. عمتي تملك ورشة خياطة وطلبت منّي أخذك لتباشري في العمل معنا. ما رأيك أليس هذا خبر مفرح؟

- هل أنت جاد؟ كيف ولم أعمل معكم؟ أنا لديّ دراستي في الجامعة وهذا آخر عام، لم يبق الكثير على تخرجي أنا وأختي. كيف تودّ منّي أن أعمل معكم في ورشة خياطة. بالتأكيد هذا العمل يحتاج إلى التركيز، أنا لا أستطيع أن أنسّق بينه وبين جامعتي.

ضحك وليد بسخرية وردّ:

- ومن قال أنّك ستعودين للدراسة في الجامعة؟

- ماذا تقصد؟

- قصدي واضح، انسي دراستك الجامعية وركّزي على عملك الجديد. أحضرناكما إلى هنا لأجل العمل وليس الدراسة هل فهمتِ؟

- لا، لم أفهم ولا أستطيع أن أستوعب ما يحدث. لماذا نحن بالتحديد؟!

- أخبرتك من قبل، لا تكثري الأسئلة فلا أحد لديه الأجوبة سوى عمتي ياسمين وهي بالتأكيد لن تجيبك. والآن جهزّي نفسك سوف أعود لاصطحابكِ بعد قليل.

حملت ياسمين الدواء الذي اشترته من الصيدلة واتّجهت نحو القبو، فتحته ودخلت وهي تمسك في يدها مصباحا صغيرا تضيء به تلك العتمة الموجودة داخل ذلك القبو. وفور دخولها تفاجأت برؤية أختها، كانت تمشي بخطوات بطيئة وكأنّ أعصاب قدميها تجمّدت لعدم الحركة.

نظرت إليها وهي تبتسم ابتسامة مكر...

- يبدو أنّك تحسنتِ بسرعة. لقد أحضرت لك دوائك. ألازلتِ ترفضين التحدّث معي؟ حسنا لك ذلك. لكن أشك أنّك ستبقين على صمتك هذا بعد أن تسمعي ما جئتك به من أخبار جديدة.

وضعت المصباح فوق الطاولة وجلست على طرفها وهي تضع يديها خلفها وابتسمت قائلة:

- أتعلمين؟ لقد وصلت ضيفتين إلى بيتنا. توأمان جميلتين شقراوتين بعيون عسلية مثل عينيك تماما. ألا تودين معرفة أسمائهما، أو رؤية صورهما؟

وقفت ياسمين ووضعت يدها بجيب معطفها الأسود وأخرجت صورتين لنبراس وإيناس، صورة وهما في عمر الثامنة، وصورة وهما في سن العشرين. ورمت بهما على الطاولة التي كانت بقرب النافذة التي كانت تقف أمامها جومانا...

انسحب الدم من وجهها بعد رؤيتها تلك الصور، وكاد يغمى عليها. نزلت على ركبتيها وأجهشت بالبكاء وهي تمسكهما وتضمهما إلى صدرها وتقبلهما وتبكي بحرقة.

- أرجوكِ أنا مستعدة لفعل أي شيء تطلبينه، فقط لا تؤذي بناتي. ألا يكفي أنّكِ حرمتني منهما كلّ هذه السنوات التي مضت؟!

تنحّت ياسمين جانبا وجلست على السرير، وأجابت بكلّ سخرية وبدم بارد وهي تلعب بخصلة شعرها...

- في الحقيقة ليس بعد، الجرح الذي تسببتِ لي به لن يشفيه بكاءك أمامي! بل يجب أن أراكِ تتعذّبين كلّ يوم كما تعذّبت أنا قبلكِ.

- لكن ما ذنبها بما حدث بيني وبينك في الماضي؟
- ذنبها أنّك والدتها.
- ياسمين أرجوكِ لا تدعي حقدك وكرهك لي يعمي بصيرتك، لا تنسي أنّنا توأمان.

أطلقت ياسمين ضحكة استهزاء وردت والدموع تنهمر من عينيها:
- توأمان... اليوم فقط تذكرتِ هذا؟!
- لما لمْ تتذكريه قبل عشرين عاما عندما سرقتِ منّي الرجل الوحيد الذي أحببته؟ لماذا لم تتذكريه عندما فضلتِ زواجه بتلك الخادمة اللعينة بدل زواجه بي أنا أختك التوأم؟ أين كانت مشاعرك الأخوية يومها؟ أين؟

حنت جومانا رأسها، وردّت:
- أنا آسفة على كلّ ما بدر منّي.
- أسفكِ هذا لن يجدي نفعا معي الآن.

أوقد ستيفان النار داخل المدفأة بعد وضعه الحطب الذي جاء به، كان يجلس قربها في صمت وهو ينظر إلى نبراس التي غفت فجأة دون أن تشعر. تغيّر لون وجهها، الأمر الذي أثار الحيرة فيه. ترك مقعده واقترب منها، وضع يده على جبينها، كانت حرارتها مرتفعة جدا، فزع وبدأ على الفور بفكّ رباط يديها وقدميها، وحملها بسرعة إلى السرير ووضعها عليه. كانت تهذي وجسمها يرتعش وكأنّه يصعق بالكهرباء.

ارتبك ستيفان ولم يعد يعِ ماذا يفعل، كان يلتفت يمينا ويسارا داخل الكوخ حتى وقعت عيناه على وعاء صغير كان يوضع على الطاولة، أسرع وحمله وخرج متوجها للبحيرة التي كانت قريبة من الكوخ، ملأه بالماء وعاد بسرعة إلى الداخل، أمسك منديلا كان يتواجد فوق المنضدة، وبدأ يبلّله ويضعه على جبينها. لم ينم طيلة تلك الليلة كان كلّما ارتفعت حرارة جسمها خفّضها بالكمادات التي كان يضعها بها حتى انخفضت حرارتها واعتدلت واستقرّ نومها. كانت تنام وكأنّها في غيبوبة. أمّا ستيفان فاكتفى بالنظر والتأمّل في وجهها الملائكي وهو يبتسم ويحدّث نفسه قائلا:

- كم أنتِ جميلة ورائعة وأنت هادئة هكذا. من يراكِ بهذا الهدوء لن يصدّق أنّك أنتِ العنيدة والعنيفة التي تضرب وتشتم كلّ من يحاول التحاور معها.

وصل وليد وإيناس إلى ورشة الخياطة، وفور وصولهما عرّفها على جميع الفتيات اللّواتي يعملن هناك وسلّمها عملها لتبدأ فيه فورا.

كان هناك فتيات كثيرات يعملن، منهنّ من يعملن بكلّ جدية ومنهن من يتهاونّ في عملهنّ، وكانت ماريا أوّلهن، فتاة متكبّرة ومغرورة لا يسلم أحد من بطشها؛ فهي تعمل كمسؤولة على جميع الفتيات وبسبب تصرّفاتها المتغطرسة استقال الكثير من العمال والعاملات. لذا قرّر وليد إعطاء منصبها في العمل لإيناس، فهو يراها أجدر منها بهذا المنصب، وحين علمت ماريا بقراره جنّ جنونها،

وذهبت مسرعة إلى مكتبه لتدفع بابه بكلّ عنف وغضب وهي تصرخ...

- كيف يمكنك فعل هذا بي وأنا التي قضيت أربع سنوات في خدمتكم. ألم يثمر فيكم كلّ ذلك؟ يا لكم من ناكرين للجميل!

ردّ عليها وليد وهو يضرب مكتبه بيده بعد أن عقد وجهه من شدّة الغضب...

- كيف تجرئين على التحدّث معي هكذا؟ من أنت لتملي عليّ ما يجب فعله وما لا يجب أن أفعله؟!

وفي هذه الأثناء دخلت إيناس وهي تحمل أوراقا بيدها، تقدّمت بخطوات بطيئة متردّدة ووضعتها على المكتب وهي تقول:

- ها هي الأوراق التي طلبتها منّي، أصبحت جاهزة.

ابتسم وردّ وهو يتصفّحها:

- كم أنتِ ماهرة وسريعة في عملِك. حقا لم أظنكِ بهذه السرعة.

- مهلا... مهلا... أليست هذه الأوراق التي طلبتَ منّي قبل أسبوع تجهيزها لك؟!

- نعم، إنّها هي، لكنّك تماطلتِ كثيرا. هل عرفتِ سبب استبدالي لك؟ أصبحتِ مستهترة كثيرا في عملك وأنت تعلمين جيّدا أنّني أكره هذا النوع من الناس.

- إذا هذه الفتاة الجديدة التي أعطيتها منصبي في العمل! فهمت الآن لما... فقط لأنّها أصغر سنا منّي وأجمل صحيح؟!

- لا ليس صحيح؛ فلا علاقة لجمالها ولا لصغر سنّها بهذا. أخبرتك مسبقا السبب لا داعي لخلط الأمور، كما أنّي لست مضطرا لأخبرك لما وكيف فعلت هذا؛ فأنا رئيس العمال هنا ويحقّ لي القيام بكلّ ما أراه صوابا شئتِ ذلك أم أبيتِ، والآن يمكنك الانصراف والبدء في عملك الجديد.

دخلت ندى إلى حجرتها بعد انتهائها من عملها في المطبخ، وأخرجت من خزانة ملابسها صندوقا أسودا صغيرا، جلست على السرير وفتحته وأخرجت منه قلادة وبعض الصور التي كانت تجمعها مع ابنها وزوجها قبل عشرين سنة.

كانت تمسح على صور وهي تقبّلها وتبكي بحرقة قائلة:

- أعدكم أنّني لن أدع ياسمين تفلت بفعلتها تلك، سوف أنتقم منها أشدّ الانتقام.

استيقظت نبراس مفزوعة من نومها ورسمت علامات استفهام على وجهها عندما وجدت نفسها على الفراش بدل الكرسي الذي كان ستيفان يربطها عليه.

- ماذا حدث وكيف وصلت إلى هنا؟

وعندما التفتت ورأت ستيفان يرقد على الأريكة شعرت بالسعادة، وقالت في نفسها:

- هذه فرصتك يا نبراس، عليّ أن أسرع بالهرب قبل أن يستيقظ هذا الوحش الحقير.

نهضت بسرعة وقبل أن تضع يدها على قبضة الباب حتى أمسك ستيفان بمعصمها قائلا:

- لا تفكّري مجرّد تفكير في ذلك.

حاولت دفعه والتخلّص منه لكنّه شدّ بيده على ذراعها وقام بدفعها على الأرض، وقال:

- لا تدعيني أتعامل معك بعنف، جسدك لايزال ضعيفا بسبب المرض.

ضحكت بسخرية وقالت:

- ومنذ متى أصبح لديك ضميرا وإحساسا وتشعر بالنّاس؟!

- أغلقي فمك أيّتها المعتوهة فأنا لا أريد الدخول في نزاعات وصراعات معك الآن. عودي إلى فراشك ولا تثيري غضبي أكثر.

- لكن إلى متى ستبقيني محتجزة في هذا الكوخ؟

- إلى أن تنتهي عقوبتك!

قالها وهو يتكئ مجددا على الأريكة، وضع يده تحت رأسه وقدما فوق الأخرى. أغمض عينيه قائلا:

- هيا كوني فتاة مطيعة لمرة واحدة في حياتك وعودي لنومك ففي الصباح علينا الاستيقاظ باكرا!

- ولم الاستيقاظ باكرا إلى أين تنوي أخذي أيضا؟!

- إلى الجحيم، أخبرتك من قبل لا تكثري من الأسئلة فأنا أكره ذلك. افعلي ما طلبته منك وحسب.

- وهل أبدو لك آلة تتحكّم بها كيفما تشاء؟!

فتح ستيفان عينيه واعتدل في جلسته وقال:

- بل تبدين فتاة بلهاء وكثيرة الكلام، والمشكلة أنّ كلّ كلامك بلا فائدة.

احمر وجه نبراس من شدة الغضب وقالت:

- توقف عن إهانتي وإلّا جعلتك تدفع الثمن غاليا أيّها المتعجرف.

ضحك ستيفان ووقف متجها نحوها قائلا:

- ها أنا أقف أمامك أريني ما ستفعلينه!

رفعت يدها لتصفعه لكنّه أوقفها قبل أن تفعلها ولوى ذراعها قائلا:

- لم تولد بعد من ترفع يدها عليّ.

ودفعها على الفراش وقال:

- والآن نامي، لا أريد الكثير من الإزعاج. لقد أزعجتني بما فيه الكفاية.

أمسكت نسرين الهاتف وبدأت تقلّب فيه باحثة عن رقم أختها وسرعان ماوجدته. اتصلت بها.

- مرحبا ندى كيف حالك.

- بخير وأنت؟

- أنا لست بحال جيدة، لقد تعبت يا أختي وقلبي لم يعد يستطيع الصبر أكثر. أريد أن أضمّه بقوّة وأخبره أنّي والدته وأنّي اشتقت له.

فرّت الدموع من عينيها وهي تسمع هذه الكلمات المؤثرة من أختها نسرين، ثم ردّت وهي تمسح دموعها.

- لست أحسن منك يا أختي، لا تنسي أنّنا في مركب واحد فأنا أيضا أريد أن أفعل هذا مع ابني لكن ما باليد حيلة.
- لكن أنت أفضل مني، فعلى الأقل أنتما في بلد واحد وتمكثين معه تحت سقف واحد وترينه في كلّ يوم. أمّا أنا فبعيدة كلّ البعد عنه.
- وما فائدة رؤيتي له كلّ يوم إذا كنت لا أستطيع الاقتراب منه، ولا حتى الاعتراف له أنّني والدته ولست مجرّد خادمة تعمل في منزله؟! نحن نعاني نفس المعاناة صدّقيني يا أختي. لكن يجب علينا التحلّي بالمزيد من الصبر حتى يحين الوقت الذي ينكشف فيه كلّ شيء، ونستطيع استعادة أولادنا من جديد.
- وهل تظنّين أنّهم سوف يغفرون لنا تخلّينا عنهم كلّ هذه المدة؟
- بالتأكيد سوف يغفرون؛ فنحن لم نتخلَّ عنهم بمحض إرادتنا بل أجبرنا على ذلك.
- آمل ذلك حقا.
- حسنا عليّ إنهاء المكالمة... لقد جاء.
- حسنا.
- سوف أحضّر له طعام العشاء ونتحدّث لاحقا. تصبحين على خير.

غيّر وليد ملابسه وخرج من غرفته وذهب إلى غرفة ياسمين التي طلبت منه أن يمرّ عليها قبل ذهابه للورشة. طرق الباب قائلا:
- هذا أنا يا عمة.
ردّت عليه ياسمين:

- ادخل الباب مفتوح.

دفع وليد الباب ودخل قائلا:

- كيف حال عمّتي الجميلة؟

- بخير يا عزيزي.

- أخبرني كيف تسير الأمور مع إيناس وعملها.

- أكثر من جيد، لقد تعلمت خلال أسبوعين فقط، وصمّمت فساتينا في غاية الروعة.

- جيد هذا ما أريده. لقد طلبت منك أن تمرّ عليّ لأنّي أريد منك أخذها إلى أكبر محلّ ملابس في باريس واشتري لها ملابسا أنيقة وجميلة. أريدها وأختها أن تكونا في أجمل حلّة لهم هذه الليلة؛ فأنا سوف أقيم حفلا على شرفهما، ولا تنسى إحضار المصوّر بيتر لأنّي أريد الكثير من الصور لهما.

- حسنا يا عمتي لا مشكلة، سأفعل كلّ ما طلبته منّي، لكن أنت تعلمين أنّ أختها لازالت مختفية هي وستيفان منذ أكثر من أسبوعين.

- لا تقلق، سوف تظهر اليوم، أنا أعرف كيف أتواصل مع ستيفان. والآن اذهب وافعل ما طلبته منك.

رنّ هاتف ستيفان وعندما رآى رقم المتّصل ردّ بسرعة وقال:

- مرحبا يا أمي، كيف حالك؟

- بخير اتصلت لأخبرك هذه الأمسية سوف أقيم حفلا على شرف التوأمان عليك الحضور أنت ونبراس.

- حسنا، لكن كيف ولم خطرت لكِ هذه الفكرة؟ إلى ماذا ترمين؟

- ومنذ متى تحقّق معي هذا ليس من شأنك. افعل ما طلبت منك وحسب.

وكالعادة أقفلت السماعة في أذنه قبل أن ينتهي من كلامه معها أو تودّعه حتى.

أيقظ ستيفان نبراس وقال:

- جهزي نفسك سوف نغادر.

- إلى أين؟

- للجحيم! نفّذي ما طلبته منك ولا تكثري من الأسئلة.

دهشت إيناس عندما أخبرها وليد أنّه سيأخذها لمحلّ ملابس أنيقة.

- لكن أنا لا أرغب في الذهاب دون نبراس.

- اشتري لها أليست توأمك؟ تتشبهان في كلّ شيء باستثناء الطبع!

- بلى لكن أين هي ومتى ستعود؟ لقد اشتقت لها كثيرا.

اقترب وأمسك يدها وربت عليها قائلا:

- لا تقلقي، ستكون معنا هذا المساء.

- حقا هل تتحدّث بجدّية؟

- بالطبع، ولم قد أكذب عليك؟

- عمتي ستقيم حفل على شرفكما الليلة. أخبرتني أنّها ستتواصل مع ستيفان وتخبره أن يحضر أختك.

- لكن لم الحفل على شرفنا؟

رفع وليد كتفيه وردّ:

- لا أدري، لا أحد يستطيع فهم عمتي وأفكارها. لكن ما أنا متأكّد منه أنّها لا تفعل شيئا إلا إذا كان لها مصلحة من ورائه.
- لكن أيّ مصلحة ستكون لها معي أنا وأختي؟!
- أخبرتك لا أحد يعلم هذا غيرها، والآن دعينا نذهب لقد تأخرنا.

اتجه وليد وإيناس للتسوّق بينما عادت نبراس وستيفان في هذا الوقت إلى المنزل.

دق جرس الباب، أسرعت سوزان لفتحه وسرعان ما وقعت عينيها على ستيفان حتى رسمت ابتسامة عريضة على وجهها قائلة:
- مرحبا بعودتك من جديد لمنزلك سيدي، ومرحبا بك أيضا سيدة نبراس، لقد اشتقنا لكما حقا.

ردّت نبراس:
- شكرا لك سوزان على هذا الاستقبال.

أما ستيفان التزم الصمت ودخل وهو يجذب نبراس من ذراعها، وأخذها لغرفته.

انزعجت وقالت:
- هاااي أنت... أليست هذه غرفتك؟!
- أجل إنّها غرفتي.
- إذن لما أتيت بي إليها؟

جلس ستيفان على طرف السرير وأجابها وهو ينظر إليها بطرف عينه:

- لأنّني أريد هذا. أنت فتاة طائشة وتصرّفاتك مزعجة ومستفزة لذى ستكونين تحت رقابتي ونظري.

ضحكت نبراس ضحكة ساخرة وردّت:

- يبدو أنّك تريد أخذ دور الأب في حياتي.

- ولم لا؟ ليست بفكرة سيئة لاسيما أنّك أصبحتِ بلا أب بعد أن قامت أختك بقتله.

أومأت نبراس برأسها وانهمرت الدموع من عينيها وقالت:

- ما لم أفهمه للآن هو كيف علمت بكلّ ما حدث بيننا وبين والدنا ذلك اليوم؟!

- بطريقتي الخاصة.

- لكن من أنتم وماذا تريدون منّا؟ ما مشكلتكم معنا؟

- كم مرّة أخبرتك لا تسألي أسئلة لن تجدي لها أجوبة؟ ألا تملّين يا فتاة؟

- لا لن أملّ حتى أعرف من أنتم ولم أتيتم بنا إلى هنا؟!

انتهى وليد وإيناس من التسوّق وعادا إلى المنزل، فور وصولهما أخبرتهما سوزان بعودة نبراس وستيفان. ارتسمت البهجة على وجه إيناس بعد سماعها الخبر، وركضت مسرعة للغرفة وتبعها وليد. دفعت باب الغرفة وهي تنادي:

- سعيدة بعودتك أختي الغالية.

لكنّها تفاجأت عندما ما لم تجدها، التفتت خلفها لتجد وليد واقف بالقرب منها، تقدّمت منه وسألته قائلة:

- لكن أين هي؟ ألم تخبرنا سوزان أنّها قد عادت؟! أيعقل أنّها كانت تتوهّم فقط!

- لا ليست تتوهّم. أنا هنا يا أختي لقد عدت إليكِ مجددا.

- نبراس...

ركضت إيناس بسرعة وارتمت في أحضان أختها وهي تبكي وصوتها يرتجف.

- أنت لا تعلمين كم اشتقت لك.

- وأنا أيضا اشتقت لك كثيرا يا عزيزتي.

اقترب ستيفان وألقى التحية على وليد ثم قال لنبراس:

- حسنا، أظنّ أنّه يجب أن تعودي للغرفة بعد أن التقيتِ بأختك.

رفعت إيناس حاجبها قائلة:

- عن أي غرفة تتحدّث أليست هذه هي غرفتنا؟!

- كانت... لكن الآن تغيّر الوضع نبراس سوف تبقى داخل غرفتي.

- ماذا؟ هل أنت جاد أم أنّك تمزح؟ كيف لها أن تبقى معك في غرفة واحدة على أيّ أساس؟!

- لا دخل لكِ فهذا الأمر يعنيني أنا فقط.

- لكن لا تنسى أنّها أختي ويحقّ لي أن أعترض على هذا القرار. وأنت قولي شيئا لم تصمتين هكذا؟ أخبريه أنّك غير موافقة على

قراره. أخبريه أنّك تريدين البقاء معي، يجب أن نبقى معا فأنا لدي الكثير لأخبرك عنه.

حنت نبراس رأسها وردّت بعد أن نزعت يدها من يد أختها...

- نلتقي هذا المساء، طاب مساؤك عزيزتي.

دخلت نبراس إلى غرفة ستيفان وتركت إيناس وسط دوامة من الأسئلة التي لم تستطع أن تجد لها أي أجوبة مقنعة.

أمسكت ياسمين هاتفها واتصلت بمصفف الشعر الخاص بها، طلبت منه أن يحضر للمنزل لأجل تجهيز نبراس وإيناس للحفلة، وبعد لحظات قليلة وصل. طلبت من سوزان أخذه لغرفة التجميل والذهاب لإخبار نبراس وإيناس أنّه في انتظارهما.

نفذت سوزان ما طُلب منها.

توجّهت إيناس إلى غرفة ستيفان لتخبر أختها بما أخبرتها به سوزان. طرقت الباب، فتح ستيفان وسألها:

- ما الخطب هل اشتقتِ لها بهذه السرعة؟! لم يمضِ الكثير على رأيتكما لبعضكما.

- بالطبع اشتقت لها، لكن ليس لهذا السبب أتيت. والدتك طلبت منّا الذهاب إلى الغرفة التي يوجد فيها مصفف الشعر.

- عظيم يبدو أنّها تودّ أن تجعل منكما ملكتين في سهرة هذه الليلة.

وقفت نبراس خلف ستيفان بعد أن سمعت صوت أختها وقالت:

- عن ماذا تتحدثان؟

التفت ستيفان قائلا:

- اذهبي مع أختك. أمي تريد أن تجعل منك ملكة جمال السهرة.
- عن أي سهرة وملكة تتحدّث ؟!
- اسألي أختك هي من ستخبرك.

بعد أن أخبرت إيناس نبراس بالموضوع، نظرت لها بغضب وقالت:

- أنا لن أذهب إلى أيّ مكان، وأنت أيضا لستِ مضطرة للذهاب. نحن لسنا لعبتين بين يديها.
- عليك أن تعلمي أنّه لا جدوى من كلامكِ هذا. دعينا نفعل ما طُلب منّا وحسب.

ابتسم ستيفان وشبك يده على صدره بعد أن استند بظهره على الطاولة وقال:

- كم أنتِ لطيفة ومطيعة يا إيناس، ليت شقيقتك تتعلّم منك.

أخذت نبراس نفسا عميقا وردّت عليه:

- ليس هذا لطفا بل هو استعباد، وأنا أكره كوني أمة لأحد.
- هل ستأتين معي أم لا ؟
- لن آتي، إذا كنتِ تخافين منهم فاذهبي. أما أنا لن أذهب لأنّي لم أعتد الخوف من أحد.

ابتسمت إيناس وقالت:

- إذا كان ما تقولينه صحيحا أخبريني إذن لما أنتِ محتجزة في غرفة ستيفان ؟! أليس الأمر متعلّق بخوفك منه ؟
- أنتِ مخطئة بل لخوفي عليكِ، أفهمتِ ؟

- للأسف لم أعد أفهمك! سأذهب الآن والحقي بي إن غيّرت رأيك، أو دعيني أقول بمعنى أصح إن أجبرك ستيفان على ذلك. فلا شكّ أنّه قادر على ذلك.

وقبل أن تخط إيناس استوقفها ستيفان قائلا:

- انتظري سوف تذهب معك.

- ومن قال لك أنّي أريد الذهاب؟ ألم تسمع ما قلته قبل قليل؟

- بلى سمعت، لكن لا تنسي من يتّخذ القرارات هنا هو أنا.

- لكن أنا لا أريد، ولا يحقّ لك أو لغيرك إجباري على أمر لا أريد القيام به.

اقترب ستيفان وأمسكها من ذراعيها وقال:

- بل يوجد وهو أنا. نفّذي ما طلبت منك ولا تدعيني أقدم على فعل سيكلّفك الكثير.

قام منظمو الحفلة الذين طلبت ياسمين حضورهم لتنظيم حفلتها، وبعد لحظات قليلة من انتهاء التجهيزات وصل المعازيم الذين تمّ دعوتهم للحفلة. كانت السهرة كبيرة تجمّع فيها عدد كبير من الشخصيات المهمة، منهم مصمّمي الأزياء والتجار ورجال الأعمال.

كان الحفل مكتملا لم يكن ينقصه إلّا وجود نبراس وإيناس اللتين، ادهش الجميع بطلّتهما الجميلة، كانت إيناس ترتدي تنورة قصيرة حمراء اللون بينما ارتدت نبراس فستانا أسودا طويلا. ولا سيما بيتر.

كان بيتر شابا طويل القامة، أشقرا وسيما، عيناه زرقاوان وكان لا يعدو الرابعة والعشرين من عمره، كان يلتقط الصور لجميع

الحاضرين وسرعان ما وقعت عيناه على نبراس حتى ذهل بجمالها. تقدّم نحوها ومدّ يده لها لأجل تقبيل يدها لكنّ ستيفان تدخّل ودفع يده قائلا:

- طاب مساؤك يا بيتر.

- ومساؤك عزيزي ستيفان.

- هلا تركت لنا المجال للتعرّف على الآنسة الجميلة؟

- للأسف لا يوجد مجال لذلك.

- أرجو أن تقوم بالعمل الذي جئت لأجله.

وانصرف يمسك نبراس من معصمها وأخذها لأحد الطاولات التي كانت فارغة، كان الجميع مستمتعين بالحفلة ما عاد نبراس التي كانت تتذمّر والانزعاج ظاهرا عليها. جلس ستيفان بجوارها وقال:

- ما خطبك يا فتاة؟ أرى أنّكِ غير مرتاحة؟!

أجابت بعد أن تنهّدت:

- أنا أكره هذه الأجواء، أشعر وكأنّها مليئة بأناس مزيّفين ومتصنّعين!

ضحك ستيفان وردّ:

- أتعلمين هذه أوّل مرة نتّفق على شيء، في الحقيقة هذا رأيي فيهم أيضا.

امسكت ياسمين الميكروفون وطلبت من جميع الحضور للإصغاء لها لأنّها ستلقي كلمة وتعرّف بضيوف الشرف. التفت الجميع نحوها. بدأت الترحيب قائلة:

- يسعدني أن أرحّب بكلّ حضوري الأعزاء من بينهم مصوري المحترف بيتر الذي طالما أسعدني بأدائه وإبداعاته التي لا يستطيع أحد مجاراته فيها. والآن دعوني أعرّفكم بضيوف شرف سهرتنا هذه الليلة. نبراس إيناس هلا تفضلتما بالصعود على المنصة؟!

صعدت نبراس وإيناس على المنصة وكان الارتباك بادٍ عليهما بينما كانت ياسمين تبتسم ابتسامة تدلّ على دهائها. ألقت بنظرة عليهما ثم أكملت قائلة:

- أعلم أن جميعكم لديكم فضول وأسئلة كثيرة، وتريدون معرفة من هاتين الفتاتين؟! كما أنّي متأكّدة أنّ الكثير منكم لن يصدقوا ما سوف يسمعون الآن وهو أنّ هاتين التوأمتين تكونان بنات أختي جومانا... أختي التوأم التي سرقت منّي الرجل الوحيد الذي أحببته وأنجبت منه هذا التوأم غير الشرعي، وخدعت الجميع بموتها المزعوم فقط للتخلّص منهما.

لم تستطع نبراس تملّك نفسها أكثر بعد سماعها هذه الكلمات واندفعت نحو ياسمين وهي تصرخ قائلة:

- أغلقي فمك أيّتها الشيطانة الكاذبة ما تقولينه غير صحيح.

- بل هو صحيح ولديّ الإثبات، وسوف ترونه فلتطفئ الأضواء.

أطفأ الأضواء وبدأت ياسمين بعرض صور جومانا وحسان قبل إنجاب نبراس وايناس، وبعدها عرضت فديو لي جومانا وهي تعترف أنّ بناتها توأم غير شرعي ولهذا السبب تخلّت عنهما، فهي تفضّل أن

تكون ميّتة في نظرهما. وقعت نبراس على ركبتيها وانهمرت الدموع من عينيها.

انصرف الجميع بعد أن أنهت ياسمين عرضها ورمت هذه الأخيرة بالمكيروفون على الأرض ثم صعدت غرفتها وهي تضحك وكأنّها انتصرت أخيرا في حربها.

أسرع ستيفان تجاه نبراس وجلس على ركبتيه هو الآخر ووضع يده على كتفها قائلا:

- هدئي من روعك سيكون كلّ شيء على ما يرام.

نظرت إليه، وابتسمت ابتسامة مكسورة ودفعت يده بعيدا عنها وقالت ومازالت الدموع تملأ عينيها:

- لهذا السبب أحضرتنا إلى هنا؟ كنت تريد رؤيتي وأنا منكسرة أمامك. لم أكن مخطئة عندما قلت عنكم عائلة المجرمين.

- نبراس اهدئي ودعيني أشرح لك، الأمر ليس كما تظنّين، أنا لا أنكر أنّي أحضرتكما إلى منزل والدتي بالقوّة، لكن أقسم لك أنّه لم يكن لديّ علم عمّا تنوي فعله.

- هل أبدو لك ساذجة لأصدّقك بهذه البساطة؟

أومأ ستيفان برأسه وقال:

- يجب أن تصدّقيني فأنا لم أكذب عليك بحرف واحد. عندما طلبت مني إحضاركما قالت إنّها علمت بمعاملة والدكما القاسي لكما، ولهذا طلبت منّي أن آتي بكما إلى فرنسا بحجة حميتكما، وعندما تواصلت مع السيدة نسرين زوجة والدكما طلبت مساعدتها في هذا الموضوع

وهي بالطبع وافقت بسرعة لأنّها كانت تريد التخلّص منكما وحسب، لذا لم يكن إقناعها بدخول لعبة خطفكما صعب، فسرعان ما أخبرتها والدتي أنّها خالتكما وتريد أخذكما للعيش معها، وافقت فورا وبدأت باستفزازكما كلّ يوم لا سيما أنتِ، فهي كانت تعلم أنّ لك طبع عصبي وكثيرة الخلافات معها ومع والدك، وعندما نشب ذلك اليوم العراك بينكما وبين والدكما اتّصلت نسرين وأخبرت والدتي بكلّ ما حدث. كنت أنا أقف بالخارج لأنّني كنت ألاحقكما منذ خروجكما من الجامعة، وعندما رأيتكما تخرجان من المنزل بتلك الطريقة اتصلت بوالدتي فورا وأخبرتها، عندها أطلعتني على ما حدث وطلبت منّي، اللحاق بكما وأخذكما إلى منزلي، فهذه كانت الفرصة التي كنّا ننتظرها لخطفكما. هذا كلّ ما حدث وما تبقى من الحكاية أنتِ تعرفينه.

وقفت نبراس وصفّقت بيديها قائلة:

- برافو يا لكم من ممثلين بارعين حقا. والآن بعد أن أنهيتم هذه المسرحية السخيفة هلا تركتمونا وشأننا أنا وأختي؟! يجب أن نعود لبلدنا. لكن أين هي إيناس؟

التفتت حولها وارتعبت عندما لم تجدها، وبدأت بالصراخ والبحث عنها في كلّ مكان.

- أين إيناس؟ إلى أين ذهبتم بها؟

وقف ستيفان وقال:

- وما أدراني؟ ألم أكن معك؟!

اقتربت منه وأمسَكته من عنق قميصه وقالت وشرارات الغضب في عينيها:

- أنا متأكّدة أنّك ووالدتك وراء اختفائها. أين أختي؟ إلى أين ذهبتم بها أيّها الأوغاد؟!

شدّها ستيفان من معصم يدها وأنزله، وردّ:

- كفّي عن توجيه الاتّهام لي... أخبرتك أنّ لا علاقة لي باختفاء أختك، سوف أتّصل بوليد قد تكون برفقته.

أخرج ستيفان هاتفه واتّصل بوليد ولم يلبث حتى ردّ عليه قائلا:

- مرحبا ستيفان هل من مشكلة؟

- وليد لقد اختفت إيناس لذا اتّصلت لأسألك إن كانت معك؟ لا ليست معي.

اتسعت عينا ستيفان وردّ بصوت راجف:

- لكن كيف ذلك؟ إلى أين ذهبت إذن؟!

- لم تذهب لأيّ مكان إنّها نائمة داخل حجرتها، لقد أغمي عليها عندما سمعت حديث عمتي لذا أخذتها لغرفتها لترتاح قليلا.

كانت جومانا تجلس وتبكي بحرقة بعد مشاهدتها لكلّ ما حدث في السهرة. لقد تعمّدت ياسمين وضع كاميرات في قاعة الحفلة وتركتها تشاهد كلّ ما حدث هناك دون أن تفوّت عليها شيئا، وبينما هي على تلك الحالة سمعت صوت باب القبو يفتح.

وقفت وتقدّمت نحوه وفور ظهور ياسمين حتى انقضّت عليها وأمسكتها من شعرها وجذبتها منه حتى أوقعتها أرضا وبدأت تصفع وتلكم وجهها وهي تصرخ قائلة:

- هل كنتِ تظنّين أنّي سأتركك تنفذين بعد ما فعلته أيّتها الحقودة؟ كيف أمكنك الكذب على بناتي بهذه الطريقة الدنيئة؟

رغم كلّ الضرب الذي تلقته ياسمين إلا أنّها كانت تضحك بشكل هستيري، وكأنّ تلك الضربات لم تكن توجه لها... استغربت جومانا من ردة فعل أختها ووقفت وابتعدت عنها وهي تهزّ رأسها وتقول:

- أرأيتِ إلى أين أوصلك حقدك وحبكِ للانتقام؟! أصبحتِ عديمة الإحساس والمشاعر.

نهضت ياسمين ومسحت قطارات دم كانت تخرج من فمها بسبب الضرب الذي تلقته من جومانا، ثم وقفت أمامها وهي تبتسم قائلة:

- ما فعلته ليس أسوأ ممّا فعلته بي في الماضي، أنتِ سبب موت إنسانيتي وتحجّر مشاعري، أنتِ من أوصلني إل هذه القسو وما فعلته مع بناتك الليلة ليس إلا البداية، لازال ينتظرهما وينتظرك الأسوأ.

أسرعت نبراس إلى غرفة إيناس حين علمت أنّه أغمي عليها وفور وصولها دفعت الباب. كانت إيناس تستلقي على الفراش، لكنّها لم

تكن نائمة كما أخبرهما وليد، بل كانت تحدق بسقف الغرفة بعينين مليئتين بالدموع.

تقدمت نبراس وجلست على طرف السرير، وأمسكت بيدها وقالت:

- هل أنتِ بخير؟

هزّت إيناس رأسها قائلة:

- كلا يا أختي، لست بخير... وكيف لي أن أكون بخير بعد معرفتي بالحقيقة المرة. الآن فقط فهمت لما كان أبي يتحاشى الحديث عنها، وربما هذا سبب كرهه لنا!

- ربما معك حق، يجب علينا مغادرة هذا المنزل في أسرع وقت.

كان ستيفان يقف بالقرب من الغرفة وعندما سمع الحديث ردّ قائلا:

- لن تذهبا إلى أيّ مكان.

استدارت نبراس قائلة:

- ومن طلب رأيك؟!

- لا أحد ولهذا أقول لن تذهبا... لا تظنّي أنّه تغيّر شيء بعد ما حدث الليلة، لم يتغيّر شيء غير أنّ الأمور ازدادت تعقيدا!

وقفت نبراس واتجهت نحوه وقالت:

- ما الذي تقصده؟!

- ما أقصده هو أنّه عليك البدء في عملك الجديد منذ الغد لأنّ أختك الذكية وقّعت على عقد التزام لمدة عامين، وهذا العقد يفرض

عليكما العمل حتى انقضاء هذه المدة وإذا أخلفتما هذا الشرط سيؤدي هذا حتما إلى حبسكما ودفع غرامة مالية.

- أتمزح؟

- ليس من عادتي المزاح في أمور كهذه.

التفتت نبراس لإيناس مجددا قائلة:

- وأنتِ كيف تمضينَ على وثائق دون قراءتها؟ أين كان عقلك؟ كيف لك أن تثقي بأشخاص قاموا بخطفك؟!

اعتدلت إيناس في جلوسها وقالت:

- حدث كلّ شيء بسرعة، لم يترك لي مجالا لقراءتها.

مرّ شهرين على بدء عمل نبراس وإيناس في الورشة، كانت الأوضاع تسير على ما يرام إلى أن جاء ذلك اليوم الذي طلبت ياسمين حضور ستيفان ووليد لمكتبها؛ لأنّها تريد إطلاعهما على أمر مهم. كانت تقف قرب النافذة، ترتشف قهوتها بهدوء وتتأمّل الطبيعة الجميلة بالخارج، عندما طرق عليها الباب ردّت قائلة:

- تفضلا بالدخول، الباب مفتوح...

دخل ستيفان ووليد وقالا في وقت واحد:

- طاب مساؤك...

ردّت:

- ومساؤكما.

جلست على الأريكة الموجودة بالقرب من النافذة وضعت ساقا فوق الأخرى وقالت:

- تفضلا بالجلوس، هناك موضوع يجب أن نتحدّث فيه.

ردّ وليد قائلا بعد أن جلس:

- وما هو؟ أطربينا...

- في الحقيقة الموضوع يتعلّق بنبراس، بيتر يبحث عن وجه إعلاني لمجلته الجديدة وهو يرى أنّ لنبراس جمال ساحر، لذَا رشحها لتكون الوجه الإعلاني. وأيضا هناك العديد من مصممي الأزياء الذين رأوها تلك الليلة وطلبوها لتكون عارضة أزياء عندهم. ما رأيكم أليست هذه صفقة مربحة لنا، يمكننا التعاقد معهم وتوسيع مجال عملنا أكثر؟!

- في الحقيقة إنّها فكرة مذهلة، أنا أشاطرك الرأي.

نظرت ياسمين إلى ستيفان الذي كان الانزعاج بادٍ على وجهه وقالت:

- وماذا عنك يا ستيفان؟ أراك صامتًا وكأنّ الفكرة لم ترق لك؟!

وقف ستيفان وردّ قائلا:

- بالتأكيد لم ترق لي، لم تعجبني الفكرة البتَة.

قال قوله هذا وانصرف...

ابتسمت ياسمين بسخرية وقالت وهي ترتشف قهوتها:

- وكأنّ رأيه يهمّني.

وقف حسان قرب النافذة وهو يمسك صورا لبنتيه نبراس وإيناس ويتأمّل فيها. كانت الحسرة والندم باديين على ملامح وجهه. في هذه الأثناء دخلت نسرين مع ابنه رؤوف بعد أن انتهت من التسوّق. وضعت المشتريات فوق الطاولة واقتربت منه ووضعت يدها على كتفه وقالت وهي تربت على كتفه:

- لا جديد عنهما؟

- ليس بعد، لقد بحثت عنهما في كلّ مكان. لم أترك مكانا إلّا وبحثت فيه، لكن دون جدوى، لم أعثر عليهما، وكأنّ الأرض انشقت وابتلعتهما! يجب أن أجدهما يا نسرين وأعتذر لهما عن قسوتي وإهمالي لهما، لقد كنت أبا قاسيا وغير مسؤول، لقد حرمتهما من حنان الأب الذي كانتا بحاجة له. لم أكن الأب الصالح، لن يتوقّف ضميري عن تعذيبي إلّا بعد أن تسامحني ابنتاي على ما فعلته معهما.

كانت ياسمين تجلس في غرفتها وتقرأ كتابا عندما دفعت نبراس الباب عليها وصرخت قائلة:

- هاااي أنتِ... ماذا تظنّين نفسك فاعلة؟ كيف لك أن تتخذي قرارا كهذا دون علمي؟ من قال أنّي أريد أن أصبح عارضة أزياء أو وجها إعلانيا؟!

وضعت ياسمين الكتاب على الطاولة، استدارت وردّت بعد أن شبكت يديها تحت ذقنها...

- ومن قال أنّه يجب أن تعلمي؟! هذا الأمر يتعلّق بنجاح وتوسيع آفاق عملي، لذا أنتِ مجبرة على القبول ودون أيّ معارضة هل فهمت؟

- لم أفهم ولا أريد أن أفهم حتى... أنت من عليك أن تفهمي أنّني لست لعبة بين يديك حتى تفعلي بي ما يحلو لك..

ضحكت ياسمين عاليًا ثم وقفت وتوجّهت نحوها وأمسكت يدها وضغطت عليها وكأنّها تودّ تحطيم أصابعها وقالت:

- إذا كنتِ ترغبين بدخول أختك السجن جرّبي إذن رفض قراري...

كانت نبراس تجلس داخل الغرفة عندما جاءتها إيناس وهي تحمل المجلة الأولى التي وضعت صورتها عليها، كانت تبدو في غاية الجمال والأناقة، ترتدي فستانا ناصع البياض، وشعرها الأسود الحريري يتدلّى على كتفيها.

اقتربت إيناس منها وقالت:

- انظري يا عزيزتي كم أنّكِ جميلة، تبدين وكأنّك ملكة، سعيدة أنا لأنّي أملك أختا جذابة مثلك.

تنهّدت نبراس وقالت:

- لكن أنا لست سعيدة لوضع صوري على المجلات والماركات العالمية. أنتِ تعلمين هذا ليس حلمي، ولم أخطط يوما لأعيش حياتي بهذه الطريقة المزيّفة.

- لكن عن أي تزييف تتحدّثين يا أختي؟! أليست هذه الحياة أفضل من حياتنا مع والدنا وزجته؟

- ربما بالنسبة لك أفضل، أما أنا فأرى أنّها مثلها وأسوأ منها بكثير. بسبب هذه الحياة لم نستطع حتى إكمال عامنا الأخير في الجامعة، بسببها سلبت منّا حرّيتنا وحرية اختيار ما نريده.

أومات إيناس رأسها وقالت:

- آسفة يا أختي، كلّ هذا بسببي...

- اششششش... كم مرّة أخبرتك لا تقولي كلاما كهذا، ما حدث لم يكن ذنبك ولا ذنبي، بل هو قدرنا وعلينا أن نصبر عليه. لا شك أنّه سيأتي يوم ينتهي كلّ شيء، لا تنسي قول الله تعالى: "فإنّ مع العسر يسرا".

وصل بيتر في صباح اليوم الثاني لاصطحاب نبراس لأخذ صور المجلة الثانية بعد نجاحهم في المجلة الأولى والتي تلقّت إقبالا كبيرا. كان يجلس في الردهة ينتظر نزولها من غرفتها، عندما دخل ستيفان عليها، ألقى التحية ثم جلس هو الآخر ينتظر، في هذه الأثناء دخلت نبراس عليهما ووجهها عابس، وفور رؤية بيتر لها حتى نهض مسرعا محاولا إمساك يدها وتقبيلها لكنّها صدّته، الشيء الذي أثار غضبه لكنّه استطاع تملّك نفسه؛ فهو يعلم أنّها فتاة عنيدة ويجري في دمها شيطان الكبرياء، لذا عليه الصبر حتى ينال مراده ويصل إلى مبتغاه. نظر إليها وقال:

- أعتذر عن تصرفي إن أزعجك لكن ظننت أنّي تصرّفت بطريقة التي تليق بآنسة راقية وجميلة مثلك، لكنّي أرى أنّ هذا التصرّف لم يرق لك؟!

- بالطبع لم يرق، فأنا أكره هذه التصرفات، وأتمنى ألّا تكرّرها مرة أخرى، فهمت؟

- حسنا لك ذلك يا أميرتي...

اتسعت عينا ستيفان بعد سماعه وقال:

- احم احم...

واقترب منه ووضع يده على كتفه قائلا:

- لا أرى داعيا لهذه الكلمات اللطيفة جدا؛ لأنّها لا تليق بفتاة تصرفاتها مسترجلة كنبراس. لذا أرى أنّ الأفضل لو احتفظت بها حتى تجد حبيبتك المستقبلية.

ابتسم بيتر وهو ينظر في عينيْ نبراس وقال:

- ومن يدري قد أكون وجدتها؟!

- هلّا ذهبنا؟ السائق بالخارج ينتظرنا.

- يمكنك الذهاب معه لوحدك، هناك موضوع مهم أود التحدّث معها فيه وبعد ذلك أنا من سيحضرها لك.

دخل حسان إلى محلّ لشراء بعض العطور لزوجته لكن كاد يغمى عليه عندما رأى صورة نبراس على أحد المجلات، لم يستطع تصديق عينيه. اشترى تلك المجلة وعاد إلى البيت فورا. وفور وصوله

جلس على الأريكة ووضع المجلّة على الطاولة وبقي يحدّق فيها، لم يستطع تصديق ولا استيعاب ما رآه، لقد اختلطت عليه الأمور ولم يستطع أن يفهم ما كان يشعر به في ذلك اليوم، هل هو غاضب أم سعيد أم مدهوش. وبعد شرود طويل نطق بكلمة محدثا نفسه قائلا:

- ياسمين... كيف غاب عن بالي أنّها قد تكون السبب وراء اختفائها...

صعد بيتر سيارته وانطلق متوجّها إلى شركة التصوير، وفور وصوله بدأ بتجهيز المكان والكاميرات ريثما تصل نبراس.

انتظر لمدة أربع ساعا لكنّها لم تأتِ، فقرّر الاتصال بياسمين وإخبارها. أخرج هاتفه واتّصل، لم يرن الهاتف كثيرا حتى ردّت عليه قائلة:

- طاب صباحك عزيزي بيتر، طمئنني كيف الأوضاع عندك؟

أجاب بنبرة صوت غاضبة:

- إنّها سيئة جدا.

- لم ما الذي حدث؟!

- اسألي ابنكِ.

- وما دخل ابني؟ هلّا وضّحت لي ما يحدث...

- لقد جئت هذا الصباح لأخذ نبراس لكنّه منعني من ذلك، وقام باصطحابها بحجة أنّه يريد التحدّث معها في موضوع مهم وبعد الانتهاء

سوف يقوم بإحضارها إلى مكان التصوير، وها قد مرّت أربع ساعات ولم أرَ أحدا منهم حتى الآن.

غضبت ياسمين وردّت بصوت عالٍ وهي تصرخ قائلة:

- يا لك من أبله كيف تسمح له بأخذها وأنت تعلم أنّه يعارض عملها هذا معك؟

نزل كلّ من نبراس وستيفان من السيارة بعد وصولهما إلى منزل قديم ومهجور، التفتت حولها فلم تكن ترى شيئا غير الأشجار الكثيفة التي كانت تغطي المكان. استندت على السيارة وقالت:

- هل لي أن أعرف لما أحضرتني إلى هنا؟!

أخذ ستيفان نفسا عميقا قبل أن يجيبها، ثم استند هو الآخر على السيارة وقال:

- هناك موضوع مهم يجب أن تعرفيه يتعلّق بوالدتك ووالدك...

ابتسمت ابتسامة ساخرة وقالت:

- عن أيّ والدة ووالد تتحدّث، ليكن في علمك أنّ هذين الاثنين لم يعودا يعنيان لي شيئا ولا سيما هي، لقد رمتنا وكأنّنا كلاب وجعلتنا نعتقد كلّ هذه المدة أنّها ميتة بينما هي على قيد الحياة.

- أنتِ مخطئة ما قلتِهِ غير صحيح، والدتكما لم تتخلّى عنكما بمحض إرادتها، بل أجبرت على ذلك.

ضحكت نبراس وردّت قائلة:

- بالله عليك وكأنّك لم تكن حاضرا تلك الليلة ورأيت مقطع الفيديو الذي تعترف بعظمة لسانها فيه أنّها لا تريدنا في حياتها.

انهمرت الدموع من عينيها بعد قولها هذه الكلمات. وقف ستيفان أمامها وأمسك يدها وقال وهو يمسح دموعها:

- اهدئي واصغي لي جيدا، وأرجوك لا تقاطعيني حتى أنتهي من كلامي، ما رأيته تلك الليلة لم يكن صحيحا، والدتك صوّرت ذلك المقطع بعد أن تعرّضت لتهديد من قِبل والدتي. إنّها تحبسها داخل قبو في منزلنا منذ عشرين سنة، وبعد إحضاركما إلى فرنسا أخبرتها أنّها قامت بخطفكما من أجل أن تنتقم منها، وعليها تصوير ذلك الفديو إذا أرادت أن تتراجع عن قرارها.

رفعت حاجبها وقالت بعد أن بلغت ذروة الحيرة والتعجب:

- لكن لم قد تفعل شيئا كهذا مع أختها التوأم؟! ما الذي أوصلها لهذه العداوة؟!

هزّ ستيفان كتفيه وقال:

- لا أدري لكن يبدو لي أنّه أمر كبير، لن نَستطيع معرفته إلّا بعد إنقاذ والدتك وإخرجها من ذلك القبو.

- وأنت من أين أتيت بكلّ هذه المعلومات؟!

- هذا ليس مهما، المهم أنّكِ علمتِ بالحقيقة، وهناك شيء آخر عليك معرفته لستِ مضطرة للعمل مع ذلك المعتوه بيتر بعد الآن.

- وما الذي جرى حتى تقول هذا؟!

- ما جرى أنّني اكتشفت أنّ أختك ليست قاتلة كما تعتقدين أنتِ وهي؛ فوالدكما لايزال على قيد الحياة.

كانت سوزان تجلس داخل المطبخ وتمسك صورة بيدها، تتأمّلها وعينيها تذرفان الدموع حين دخلت ندى عليها، وقالت:

- ما خطبك يا فتاة كيف تجلسين هكذا؟ وكأنّك لا تعلمين ما ينتظرنا من العمل.

فزعت سوزان عند سماعها صوت ندى، ووقفت بسرعة وهي وتخبّئ الصورة خلف ظهرها، وردّت بارتباك:

- أنا آسفة، لكن شعرت ببعض التعب فجلست لآخذ قسطا من الراحة.

- لا بأس عزيزتي، لكن ما الذي تخفينه وراء ظهركِ؟!

ردّت وهي مرتبكة:

- لاشيء مهم.

اقتربت ندى منها وجذبت ذراعها بقوة حتى وقعت الصورة من يدها على الأرض، انحنت ندى والتقطتها. تسمرت سوزان مكانها عندما رأت ندى الصورة والكلمات التي كانت مكتوبة عليها من الجهة الخلفية، نظرت ندى لها في دهشة وقالت:

- ستيفان؟!

وضعت سوزان يديها على وجهها وانهمرت الدموع من عينيها وردّت قائلة:

- ليس ذنبي، إن أحبّ قلبي أو تعلّق بشخص يعلم جيدا أنّه يستحيل أن يكون له.

عادت نبراس وستيفان للمنزل، كانت ياسمين تجلس في الردهة تنظر قدومهما، وحين رأتهما صفقت بيديها قائلة:

- برافو أحبيكما حقا على شجاعتكما وجرأتكما على تحديكما لي.

أخذ ستيفان نفسا عميقا وقال:

- عن أي تحدٍ تتحدّثين؟

- لا داعي أن تتظاهر أنّك لا تعرف عمّا أتحدّث.من سمح لك بأخذ نبراس معك وأنت تعلم أنّ لديها جلسة تصوير مهمة اليوم؟

تقدّمت نبراس ووقفت أمامها وقالت:

- أول شيء ليس هو من أخذني بل ذهبت معه بمحض إرادتي، ثاني شيء لن أذهب بعد اليوم لجلسات التصوير اللعينة تلك.

- ألا ترين أنّك أصبحتِ طويلة اللسان وعديمة الحياء يا فتاة؟ من أين لك هذه الثقة الزائدة بالنفس؟

- منكِ أو لست خالتي؟ فمن الطبيعي أن أرث منك هذا، ولكن أحمد الله أنّني لم أرث حقدك وأنانيتك على الآخرين...

رفعت ياسمين يدها لتصفعها، لكن ستيفان تدخّل بسرعة ومنع حدوث ذلك بعد أن امسكها من معصمها وقال وهو ينظر في عينيها:

- إيّاكِ ورفع يدك عليها وأنا موجود.

دفعت ياسمين يده وقالت:

- أخبرني كم دفعت لك حتى أصبحت محامي دفاع لها؟ ومنذ متى وأنت تقف مع أعداء ضدي؟!

- منذ أن عرفت...

وكاد يبوح بما يعرف عنها لولا أنّ نبراس التي كانت تقف خلفه أمسكت ذراعه وضغطت عليها لتنبهه، حتى لا يقول شيئا؛ لأنّه بهذا التصرّف قد يفسد كلّ ما خططوا له للإيقاع بياسمين.

اتصلت ندى بستيفان وطلب مقابلته في نفس المكان الذي التقوا فيه قبل يومين، وهو مقهى صغيرا بالقرب من المنزل.

أسرع ستيفان في الذهاب إليها، وبعد لحظات وصل واتجه نحو الطاولة التي كانت تجلس أمامها ندى.

اقترب ستيفان قائلا:

- طاب مساؤك خالة.

ردّت عليه وهي تبتسم ابتسامة مكسورة:

- وطاب مساؤك يا بني.

دفع الكرسي قليلا ثم جلس ووضع يديه فوق الطاولة وقال:

- أخبريني هل من مستجدات؟

هزت رأسها وقالت:

- نعم يوجد، لقد أحضرت لك كلّ المستندات والدلائل التي بإمكانها إدانة السيدة ياسمين.

- إذن ماذا تنتظرين ناوليني إيّاها فورا.

فتحت ندى حقيبتها وأخرجت منها صندوقا أسودا صغيرا ووضعته أمامه وقالت:

- في هذا الصندوق توجد الكثير من الأشياء التي ستكون إجابة على جميع أسئلتكما، والآن أستأذنك عليّ الذهاب فورا، ورائي عمل يجب أن أنجزهُ.

عاد ستيفان للمنزل وصعد لغرفته ووضع ذلك الصندوق جانبا على مكتبه واتّصل بنبراس وطلب منها القدوم لغرفته، فهو لم يرد فتح الصندوق دون حضورها. كان يقف قرب النافذة عندما دفعت نبراس الباب ودخلت قائلة:

- ما الذي حدث حتى طلبت حضوري في هذا الوقت المتأخر؟

التفت إليها قائلا:

- هلا تفضلتِ بالجلوس أولا؟

- حسنا ها قد جلست، هلا أخبرتني ما الأمر؟

حمل ستيفان الصندوق ووضعه أمامها وقال:

- لقد اعطته لي الخالة ندى مساء اليوم، وهي تقول يوجد داخله أشياء ستكون مفاتيحا لكلّ الأسئلة التي تخطر على بالنا. ولهذا السبب رأيت أنّه من الأفضل أن أفتحه في حضورك، فما فيه لا يعنيني وحدي.

- أشكرك حقا على اهتمامك والآن دعنا نفتحه.

رفعت نبراس غطاء الصندوق وَنظرت داخله، كان مليئا بالرسائل والأشرطة. أخرجت أوّل رسالة قابلتها، فتحتها فورا وبدأت تقرأ ما جاء فيها بصوت مرتفع وهو:

زوجي العزيز حسان، أعلم أنّك لازلت غاضبا منّي بعد ذلك الحادث، لكن أقسم لك أنّ ما أخبرتك به ياسمين غير صحيح؛ فأنا لم أخنك مع أحد ولم أفكر مجرّد تفكير في ذلك. أعلم أنّك ستسألني لما كان معي زوج نسرين في السيارة أثناء الحادث، سأخبرك لقد وقع من أعلى الشجرة التي كان يعالجها لنا في بيت المزرعة، وبما أنّه لم يكن يوجد أحد في المنزل قرّرت أن آخذه للمشفى، وبينما أنا أسرع لأصل في الوقت المناسب تعرّضنا لذلك الحادث اللعين، ومات الرجل المسكين وترك وراءه زوجة وطفلا صغيرا. هذا كلّ ما حدث صدّقني أنا لم أكذب عليك بحرف واحد. أتمنى أن تردّ عليّ بعد قراءتك رسالتي.

زوجتك المحبة والوفية لك دائما جومانا.

أنهت نبراس القراءة وقالت وهي تنظر إلى ستيفان:

- هل فهمت شيئا؟!

هزّ رأسه وقال:

- كلا، لكن متأكّد أنّ هذه الرسائل لم تصل والدك.

- وربما لهذا السبب تزوّج أبي تلك الشيطانة نسرين فقط لينتقم من والدتي. لكن ما لم أفهمه حتى الآن ما علاقة ياسمين؟!

- أكمل قراءة باقي الرسائل.

- لا علكِ ستجدين الجواب.

- أنت محق.

أخرجت الرسالة الثانية لكنّها فجأة عند رأت اسم ستيفان عليها؛ أي أنّها موجهة له. مدّت يدها له قائلة:

- خذها يبدو أنّها لك.

أخذها من يدها قائلا:

- لي أنا، لكن من قد يكون أرسلها؟

- افتحها وستعرف بالتأكيد.

فتح ستيفان الرسالة وبدأ يقرأ في عجلة من أمره، وهذا ما جاء فيها:

ابني الغالي ستيفان، عندما تقرأ رسالتي هذه سأكون قد سافرت وعدت إلى موطني الجزائر. أريدك أن تعلم أنّني لم أتخلَّ عنك بمحض إرادتي، بل أجبرت على ذلك. أنا لم أتخيّل يوما أنّك ستكبر وتترعرع بعيدا عنّي وعن أحضاني، لكن قدر الله وما شاء فعل؛ فبعد وفاة والدك بشهور قرّرت البحث عن عمل، وعندما أخبرت خالتك نسرين التي هي أختي عن قراري هذا اقترحت عليّ العمل عند السيدة ياسمين التي كانت تعمل عندها هي وزوجها عمر. بدأت العمل عندها، انتقلت للسكن معها،كان عمرك آنذاك أربعة أعوام ونصف، كانت السيدة ياسمين تهتم بك وتشتري لك الملابس والألعاب، وفي أحد الأيّام قرّرت أن أترك العمل عندها بسبب الخلاف الذي كان بينها وبين أختي نسرين بعد أن اكتشفت خيانتها مع زوج أختها جومانا، لم تعترض لقرار ذلك بل وافقت برحابة صدر، وطلبت منّي أن أنتظر حتى حلول الصباح لأن الوقت كان

متأخرا وقتها وقالت: "هلا تركتي ستيفان ينام معي هذه الليلة بما أنّكما سترحلان في الغد أنت تعلمين مدى حبي له. دعيني أشبع منه".

كانت تتحدّث وهي تبكي، لذا لم يكن لي إلّا أن أقبل وتركتك تنام في حجرتها تلك الليلة.

وفي الصباح كانت الصدمة عندما استيقظت على الساعة السادسة صباحا وتوجّهت نحو غرفتها، طرقت الباب كثيرا لكن لا أحد ردّ عليّ، دفعته ودخلت، وهنا كانت الصدمة حين ما لم أجد أحدا، كانت قد هربت وأخذتك معها إلى فرنسا وتركت ورقة صغيرة كتبت لي فيها: "لا تتعبي نفسك في البحث عنّي إذا أردتِ أن يبقى ابنك وابن أختك على قيد الحياة".

كانت هذه الرسالة كفيلة بأن تبقينا مكتوفتي الأيدي أنا ونسرين؛ فنحن كنّا نعرف طبعها القاسي إن حاول أيّ شخص الوقوف في وجهها. لكن أنا لم أستسلم وقرّرت السفر إلى فرنسا لأني كنت متأكّدة أنّها سافرت إلى باريس؛ لأنّها تملك منزلا هناك، وبعد بحث طويل استطعت أخيرا أن أجدها، توسلت إليها أن تعيدك لي لكنّها رفضت قائلة: "ستيفان ابني ولن أعطيه لك، وإن تجرئتِ وأخبرتِ الشرطة أعدك أنّك ستصلِّين عليه؛ لأنّي مستعدة لقتله على أن أعيده لك. والآن يمكنك البقاء معه والاعتناء به في منزلي لكن بصفتك مربية له وخادمة والدته، لا تحلمي بأكثر من هذا". بالفعل هذا ما حدث، فمنذ ذلك اليوم بدأت العمل عندها على ذلك

الأساس، وكنت أنت تكبر وتترعرع أمام عيناي دون أن يكون لديّ الحق في الاقتراب منك أكثر من كوني خادمة، وأنت بالطبع لم تكن لتعرف أنّك لست ابنها، فهي قامت بتسجيلك على أنّك ابن زوجها الفرنسي ألفريدُو الذي طلّقها بعد أربعة سنوات من زواجهما وأطلقت عليك اسم ستيفان بدل حسام اسمك الحقيقي، وفي نهاية الرسالة سأترك لك عنوان منزلي ولك الخيار باللحاق بي أو البقاء معها.

انتهى ستيفان من القراءة، بعد أن كانت عيناه قد امتلأتا بالدموع التي لم يستطع التحكم بها، كان قلبه يتحسر ألما، شعر أنّ حياته كانت مجرد كذبة لا أكثر. وقع على ركبتيه ووضع يديه على وجهه وأجهش بالبكاء.

اقتربت نبراس منه وجلست بقربه وهي تضع يديها على كتفيه وتربت عليه قائلة:

- أرجوك هدئ من روعك وحاول أن تبقى قويا.

رفع رأسه ونظر إليها وهو يمسح دموعه بكم قميصه وقال:

- ليس الأمر هيّنا يا نبراس. كيف لي أن أهدأ بعد أن علمت أنّ حياتي كانت مجرّد كذبة، وأنّني كنت أعيش كلّ هذا الوقت في بيت المرأة التي حرمتني من حضن والدتي الحقيقة التي لم تكن يوما في نظري أكثر من خادمة؟ كيف لي أن أتأقلم مع هذا الوضع الجديد؟

وضعت يدها على خده وقالت:

- أعلم أنّه ليس هيّنا، لكن يجب عليك ألا تستسلم. علينا أن نجعلها تدفع ثمن كلّ ما فعلت بنا؛ فهي لم تكتفِ بإيذائك أنت ووالدتك فقط بل آذتنا جميعا، حتى أختها التي هي توأمها لم تسلم من شرها، والآن دعنا نتّصل بوليد وإيناس يجب أن نخبرهما بما نعرفه.

وقبل أن يخرج هاتفه دفعت ياسمين الباب، وهي تضحك بصوت عالٍ قائلة:

- أظننتما أنّ الانتصار على ياسمين سيكون بهذه السهولة؟!

كانت ياسمين تقف ووراءها رجلين أسمَرا البشرة بعضلات مفتولة وأجسام ضخمة، بدا عليهما وكأنّهما مصارعين. ازداد غضب ستيفان عندما رآها واندفع بسرعة نحوها قائلا:

- لن أدعك تفلتينا بفعلتك.

لكن بحركة من أصبعها انقضى عليه الرجلين، وانهالا عليه بالضرب. ركضت نبراس بسرعة محاولة الدفاع عنه وهي تصرخ قائلة:

- دعوه وشأنه أيها الأوغاد...

لكن ياسمين أمسكت معصم يدها ودفعتها أرضا وأمسكتها من ذقنها قائلة:

- ما خطبك يا فتاة؟ منذ متى أصبحتِ تهتمين لأمره؟ ألم يكن جلدك الذي لطالما كرهته؟!

توقّف الرجلان عن ضرب ستيفان، وقاما بليّ ذراعيه خلف ظهره، ورفعا رأسه وهما يشدّانه من شعره بقوّة. كانت الدماء تسيل من وجهه وفمه عندما صرخ بصوت بالكاد يسمع قائلا:

- دعيها وشأنها... أرجوك أنا مستعد لفعل كلّ ما تريدينه، المهم لا تؤذيها.

مسحت ياسمين على وجه نبراس قائلة:

- يا إلهي كم هذا مؤثّر، أتصدقون لقد تأثّرت كثيرا... ومسحت عينها بأصبعها وأكملت قائلة:

- حتى كادت الدمعة تنزل من عيني. أتعلم أنّني كنت أبحث لك عن طريقة تعذيب تشفي غليلي فيك، لكن الآن أنا سأكتفي بتعذيبها هي فقط أمام عينيك ألا يبدو الأمر ممتعا حقا؟!

أطلقت إشارة بأصابع يديها للرجلين وقالت:

- خذوهما إلى القبو.

عندما رأى ستيفان أحد الرجال يقترب من نبراس ويجذبها من ذراعها صرخ قائلا:

- دعها، لا تلمسها، إيّاكَ والاقتراب منها أيّها الوغد.

عندها لكمه الرجل الذي كان يمسكه على بطنه بقوة حتى أغمي عليه، وحمله على كتفيه وخرج يمشي وراء ياسمين التي خرجت وأعطتها إشارة بأصبعها للحاق بها بينما حمل الرجل الآخر نبراس وتبعهما.

كانت نبراس تصرخ بصوت عالٍ وتضرب الرجل بيدها قائلة:

- أنزلني أيّها الوغد، لا أريد الذهاب إلى أيّ مكان... تبا لكم أيّها الأوغاد الأشرار...

وبعد لحظات وصلوا للقبو فتحت ياسمين الباب ودخلت ثم اتبعها الرجلين وقاما برميهما على الأرض.

ذهلت جومانا عند رؤيتها نبراس وستيفان على تلك الحالة المزرية، وركضت مسرعة نحوهما، جلست على ركبتيها وانتشلت نبراس من الأرض قائلة:

- نبراس صغيرتي ما الذي فعلوه بيك هؤلاء المتوحشين؟!

كانت تبكي وهي تحتضنها وتقبّل يدها بينما نبراس بقيت متسمرة مكانها والدموع تسيل على وجنتيها.

صَفقت ياسمين، قائلة:

- واو كم هذا المشهد مؤثّر، لقاء الأم وابنتها بعد عشرين عام، لكن للأسف لن تدوم فرحة هذا اللقاء كثيرا.

ردت جومانا قائلة ولا زالت الدموع في عينيها:

- ما الذي تنوين فعله أيضا؟ ياسمين ألم تكتفي بعد؟! ألم يُشفى غليلك بعد؟!

- ليس بعد، لكن لا تقلقي لم يبقى الكثير حتى أشفيه، والآن سوف أدعكم تشبعون من بعضكم قبل أن أرسلكم إلى العالم الآخر.

كانت نسرين على وشك إنهاء الأعمال المنزلية عندما سمعت طرقات على الباب، أسرعت لفتحه قائلة:

- يبدو أنّ حسان نسي مفاتيحه.

وحين فتحته تسمرت مكانها، وقالت بصوت مرتجف:

- ندى!

وأسرعت بضمّها وهي تبكي قائلة:

- أنا لا أكاد أصدّق عيناي...

- بل صدّقِي أو أنّكِ تريدين أن أقرصك كما اعتدت في صغرنا ؟!

ضحكت نسرين وقالت:

- تفضلي بالدخول يا عزيزتي.

دخلت ندى ثم أغلقت نسرين الباب ولحقت بها، جلست الأختين في الردهة، وأمسكت نسرين يد ندى قائلة:

- أخبريني كيف حالك؟ لقد اشتقت لك كثيرا.

- من الطبيعي أن تشتاقي لي، لا تنسي أنّنا لم نرَ بعضنا منذ سنوات.

- أشاطرك القول يا أختي، لكن أخبريني كيف حالهما وليد وستيفان؟

عبس وجه ندى وقالت:

- أعتقد أنّهما عرفا الحقيقة الكاملة، فأنا قبل أن أرحل أعطيت صندوقا لستيفان وتركت في داخله رسالة أخبرته فيها بكلّ شيء، وتركت له عنوان منزلي فيها من أجل اللحاق بي إن أراد ذلك.

وأومأت برأسها قائلة:

- لكن يبدو أنّه لا يرغب بذلك، فلقد مرّت أربعة أيام منذ قدومي إلى هنا ولم يأتِ حتى الآن.

قالت نسرين وهي تربت على يدها:

- لا بأس يا أختي، ربما لم يقرأ الرسالة حتى الآن. أليس هذا احتمال وارد؟!

- لا أظنّ ذلك، فهو كان مهتما لمعرفة ما كان داخل ذلك الصندوق.
- حسنا وعسى خيرا يا أختي. دعينا ننتظر لربما أتى في الغد.
- سوف أضيّفك شيئا الآن ونكمل حديثنا.
- لا داعي لذلك عزيزتي عليّ الذهاب، لكن قبل ذلك يجب أن أتحدّث مع حسان عن موضوع يخصّ ابنتيه.

امتعض وجه نسرين، وردّت بنبرة حادة بعد أن سحبت يدها من يد أختها وقالت:

- وما هذا الموضوع؟!

أخذت ندى نفسا عميقا ثم تنهّدت قائلة:

- نسرين عزيزتي يجب عليك أن تتقبلي فكرة أنّ نبراس وإيناس لا ذنب لهما بما حدث بينك وبين والدتهما بالماضي.
- كيف لي أن أتقبّل شيئا كهذا؟ لا تنسي والدتهما كانت السبب في خسارتي لزوجي، وربما فعلت ذلك عمدا فقط لأنّها علمت بخيانة زوجها معي.

ابتسمت ندى قائلة:

- كم هو غريب أمرك يا أختي وتقولينها بهذه البساطة؟! هل تناسيتي تغاضي جومانا عنكما أنتِ وزوجها رغم معرفتها بخيانتكما، بل طلبت منه الزواج منك بحجة أنّها تشعر بالذنب لأنّها كانت السبب في موت زوجك وتيتيم ابنك. رغم أنّه اتّهمها هي بخيانته فقط لأنّ عمر كان معها أثناء ذلك الحادث... لكنّها رغم كلّ ذلك لم تواجهه بذلك بل اكتفت بالخروج من حياته حتى عندما رفع عليها قضية حرمانها

من حضانة ابنتيها. ألم تتقبّل ذلك بكلّ رحابة صدر؟ ولم تطلب شيء سوى تركها قريبة منهما لتطمئن عليهما بين الحين والآخر. لكن ماذا فعلتِ أنتِ وياسمين حكتما لها مكائدا كثيرة حتى فرقتما بينها وبين بناتها، رغم أنّك كنت تعلمين أنّ ياسمين كانت تحب حسان وتقربها ذاك منك لم يكن إلا لأجل توريطك معها لتستطيع السيطرة والتحكم بك كما تشاء. أليست هي السبب في إبعادك عن ابنك؟!

أومات نسرين برأسها والدموع محبوسة في عينيها وقالت:

- أنتِ محقة يا أختي، يبدو أنّي تركت حقدي وأنانيتي يسيطران عليّ حتى أعميا بصيرتي عن رؤية الحقيقة، ليس العيب هو أن نخطئ فقط يا أختي بل العيب أن نعرف خطأنا ونصرّ عليه ونكرّره في كلّ مرة.

- أنت أخطأت، ونا اخطأت عندما كانت جومانا تكتب الرسائل وتعطيها لي من أجل إرسالها لحسان كنت أخبّئها عندي وأخبرها أنّي أرسلتها فقط لكي لا أفسد سعادتك التي بنيتها على حساب تعاستها هي وابنتيها. والآن حان الوقت لنصلح ما أفسدناه.

هزّت نسرين برأسها قائلة:

- أشاطرك الرأي يا أختي...

دخل وليد على إيناس وهي تجلس وتضع يدها تحت خدها شاردة بأفكارها. جلس على طرف الطاولة التي كانت تجلس بقربها ونزع يدها من تحت خدها قائلا:

- ما خطبك يا فتاة؟! أراك تشردين كثيرا هذه الأيام.
- لازال بالي مشغولا على نبراس، لم أستطع تصديق سفرها وستيفان، أشعر أنّ عمتك تكذب أنّ هناك شيئا مريبا يحدث. لا أعلم ما هو لكنّني متأكدة أنّه ليس خيرا.
- لا أظنّ أنّ كلامك صحيح، ولم قد تكذب عمتي علينا؟! لا تنسي نبراس أصبحت وجها إعلانيا لشركة بيتر وفي هذه الحالة من طبيعي أن يكون لديها سفر غير متوقع دائما. لذا لا داعي لتشغلي بالك بهذه الأفكار الشريرة فلديك أعمال أهم عليك إنهاؤها.
- لنفترض أنّ كلامك صحيح يا وليد وأنّ نبراس سافرت من أجل التصوير، لكن لم هاتفها وهاتف ستيفان مغلقان منذ أربع أيام؟!

أمسك وليد ذقنه وقال:

- أمم... معك حق، لكن لربما المكان الذي هما فيه لا يوجد فيه تغطية؟!

وقفت إيناس وقالت في انزعاج:

- بالله عليك يا وليد ما الذي تهذي به؟ كيف ما هو السبب الذي يجعلهما في مكان لا تغطية فيه ولمدة أربعة أيام؟ هذا شيء لا يستطيع العقل استيعابه.

كانت ياسمين تجلس في حجرتها وتشاهد وتسمع كلّ ما كان يحدث في غرفة إيناس من خلال كاميرات المراقبة التي كانت تضعها في جميع غرف المنزل. ابتسمت بعد أن سمعت كلّ ما دار بين إيناس ووليد وقالت:

- يبدو أنّك فتاة ذكية أكثر مما توقعت. لكن هذا لن يكون لصالحكِ يا عزيزتي.

كانت ندى قد قرّرت المغادرة حين دخل حسان الذي تفاجأ عند رؤيتها وقال:

- ما الذي عاد بك بعد كلّ هذه السنوات؟!

- لم يتغيّر طبعك المتعجرف يا حسان، لكن لا بأس، أنا أيضا لم أنتظر منك أن تأخذني في الأحضان وترحب بي؛ فأنا أعلم أنّك لازلت تحقد عليّ بسبب ما حدث بيننا في آخر لقاء.

ابتسم حسان وقال بعد أن جلس على الكرسي...

- من الجيد أنّك مازلتِ تتذكرين.

- حسان أنا جئت إلى هنا من أجل التحدث معك بموضوع يتعلّق بابنتيك.

اتسعت عيناه ورد في لهفة:

- ما بهما ابنتاي وأين هما؟ أتعلمين بمكانهما؟!

- هدّئ من روعك يا رجل سأخبرك بكلّ شيء. اهدأ فقط...

سردت ندى على حسان كلّ الحقائق التي تعرفها والتي كان يجهلها. جنّ جنونه بعد أن علم بالخطأ الذي ارتكبه بحق زوجته وابنتيه بسبب ياسمين وانهمرت الدموع من عينيه وقال في غضب:

- أقسم أنّي لن أغفر لك يا ياسمين. هلا أعطيتني عنوان منزلها بفرنسا؟

- بالتأكيد اكتب عندك.

أخرج حسان ورقة وقلم ودوّن العنوان، وقبل ذهابها أعطته صورة جومانا وقالت:

- لقد وجدتها في غرفة ياسمين أثناء تنظيفي لها.

وفي اليوم التالي تجهّز للسفر إلى فرنسا من أجل تصفية حساباته مع ياسمين.

كانت إيناس تستعد للخروج بعد أن اتّصل بها وليد وأخبرها أنّه عليها القدوم للورشة من أجل تصميم فساتين عليها طلب مستعجل، وبينما هي في طريقها للذهاب مرت على غرفة ياسمين التي كانت مفتوحة ولأول مرة دون أن تكون داخلها شعرت ببعض الفضول وقرّرت الدخول علّها تجد خيطا يساعدها لمعرفة سبب اختفاء أختها.

وصل حسان إلى فرنسا، وأوّل ما فعله بعد خروجه من المطار هو ذهاب إلى قسم الشرطة لأجل تقديم شكوى بشأن اختطاف بنتيه. وفور وصوله للقسم سرد عليهم القصة وأعطاهم دليلا يثبت صحة كلامه وهو صورة قد وجدتها ندى بين أغراض ياسمين، كانت الصورة لجومانا وهي محبوسة داخل ذلك القبو.

دخلت إيناس وبدأت تفتش في الأوراق التي كانت توجد على سطح المكتب، وفجأة لفت انتباهها جهاز الحاسوب الذي كان يعرض عليه فديو مباشر من داخل القبو الذي كانت نبراس ووالدتها وستيفان محجوزون داخله.

وضعت إيناس يدها على فمها عندما رأت ذلك المشهد المريع وصرخت قائلة:

- نبرااس يا إلهي، ما الذي فعلته بكم هذه المتوحشة. يجب أن أخبر وليد على الفور، لقد كنت أعلم أنّ هناك أمرا مريبا يحدث.

أخرجت هاتفها من حقيبتها وقبل أن تتّصل دخلت ياسمين وهي تضحك بصوت عالٍ قائلة:

- ظننتك أكثر ذكاء.

اندفعت إيناس نحوها بسرعة وهي تصرخ قائلة:

- أيّتها الحقيرة سوف أقتلك.

دفعتها ياسمين أرضا وأمسكتها من ذراعها ولوته قائلة:

- من تظنّين نفسك حتى تقومي بتهديدي بالقتل؟ ألا تعلمين من تكون ياسمين؟!!

- بل أعلم من تكونين؟ امرأة حقود قلبها أسود لا يعرف الرحمة ولا الشفقة.

- جيد، بما أنّك تعلمين بكلّ هذا إذن لما تحاولين التمرد عليّ وأنت تدركين أن عواقب ذلك وخيمة؟ والآن تعالي معي للالتحاق بأختك ووالدتك سوف يكون موتكم مميّزا حقا.

جذبتها من شعرها وقبل أن تخرج من الغرفة سمعت صوت الشرطة وسياراتهم...كانوا ينادونها بمكبرات الصوت قائلين:

- سيدة ياسمين سلمي نفسك البيت محاصر، ولا فائدة من مقاومتك.

ارتبكت وردت قائلة:

- اللعنة... ما الذي جاء بهم الآن؟!

جذبت إيناس من شعرها ووضعت فمها قرب أذنها قائلة:

- أصغي إلى ما سأقول جيدا، سوف نذهب لفتح الباب سويا وعليك التصرّف بشكل طبيعي تماما، وأيّ حركة خاطئة منك صدقيني ستؤدّي إلى موتك حتما. فهمتِ؟

هزت إيناس رأسها قائلة:

- نعم، لقد فهمت.

أخرجت ياسمين مسدسا صغيرا من درج مكتبها، وجذبت إيناس من يدها وفور وصولهما الباب حتى صوبته على رأسها قائلة:

- تذكري ما قلته في الداخل.

فتحت إيناس الباب وما إن رفعت رأسها حتى وقعت عينيها على والدها الذي كانت تظنّه قد مات. لم تستطع التحكم في نفسها وصرخت قائلة والدموع تنهمر من عينيها:

- أبي..

اندفع نحوها وعينيه تملؤهما الدموع، وقبل أن يقترب ويحتضنها ظهرت ياسمين خلفها، وجذبتها ووضعت المسدس على رأسها قائلة:

- إيّاكم والتقدّم، وإلّا أفرغت المسدس في رأسها.

صرخ رجال الشرطة قائلين:

- إياك والتهوّر سيدة ياسمين، المكان محاصر، سلّمي نفسك ولا تزيدي الأمور تعقيدا.

ضحكت بصوت مرتفع قائلة:

- ليست ياسمين من تستسلم بهذه السهول.

تدخّل حسان قائلا:

- ياسمين أنا مستعد لأفعل لك ما تريدين، فقط دعي ابنتي وشأنها.

أنزلت ياسمين المسدس وتركت إيناس، اندهشت إيناس مما حدث وركضت بسرعة نحو والدها وعندما اقتربت منه وفتح ذراعيه ليحتضنها، استوقفتها ياسمين قائلة:

- إيناس...

التفتت خلفها لتجدها تصوّب بالمسدس نحوها وهي تضغط على زناده، وأطلقت الرصاصة التي أصابتها في الرأس ووقعت إيناس على الأرض وغرقت في دمّها.

صرخ حسان بأعلى صوته ووقع على ركبتيه وهو يمسك برأس إيناس وكان يهزّها قائلا:

- لا، ليس الآن لا يمكن أن تموتي الآن، كيف تموتين وأنا لم أقل لك ولا مرة أنّني أحبك، ولم أمسح على رأسك وأحتضنك في لحظات حزنك. انهضي يا بنيتي فمازال أمامنا الكثير لنفعله ونعيشه... انهضي أرجوك.

وضع حسان رأسه على رأس إيناس وأجهش بالبكاء بينما الشرطة لاحقت ياسمين للقبض عليها مقتحمة منزلها، وبدأوا بالبحث عن القبو الذي كان تحته، وفور عثورهم عليه قاموا بتحطيم بابه وإخراج

جومانا ونبراس وستيفان ونقلهم فورا للمستشفى. لتلقي العلاج اللازم.

دخل وليد على ستيفان في غرفة المشفى التي كانت نبراس ترقد فيها، جلس بالقرب منه وقال:

- ألم تستيقظ بعد؟!

هز ستيفان رأسه وهو يمسك بيدها...

- ليس بعد، لقد أخبرنا الطبيب أنّها تعرّضت لصدمة كبيرة عند معرفتها بموت توأمها ولن تتخطاها بسهولة يجب أن نكون بقربها جميعا ولا سيما والدها ووالدتها.

أومأ وليد برأسه قائلا:

- وهو يمسح الدموع من عينيه، كان خبر وفاتها صدمة لنا جميعا. لطالما أخبرتني أنّها تشعر أنّ هناك أمر مريب سوف يحدث، لكن كنت أقول لها هذه ليست إلا مجرد أفكار شيطانية يجب ألّا تدعها تسيطر عليها. ليتني صدقتها وحميتها من عمتي، لكن من كان يتوقّع أنّها إنسانة سيئة وخطيرة لهذا الحد؟!

- لازلت تناديها بعمتي بعد كلّ ما فعلته؟! هذه الوغدة قامت باختطافك من والدتك وقتلت الفتاة التي كنت ستعلن لها عن حبك.

تنهّد وليد ورفع رأسه وقال وهو يحدق في السقف:

- لا تنسى أيضا أنّني كنت أظنّها عمتي، ومنذ نعومة أظافري وأنا أحبّها وأناديها بهذا الاسم. فليس من السهل أن أتعوّد بسرعة على كلّ ما عرفته عنها.

- لا بأس، لكن ماذا قررت بشأن العودة إلى والدتك؟

- لا شيء بعد.

- وماذا عنك أنت؟!

نظر ستيفان إلى نبراس وقال وهو يمسح بيده على شعرها:

- لن استطيع اتخاذ أيّ قرار قبل استيقاظ نبراس وتحسنها.

دخل ضابط شرطة على ياسمين لأجل نقلها إلى مشفى الأمراض العقلية، لكنّه تفاجأ بانتحارها شنقا. وهكذا كانت نهايتها خسرت حياتها بسبب حقدها وأنانيتها وحبها للانتقام.

بعد مرور أربعة سنوات على زواج ستيفان ونبراس رزقا بطفلة سمياها إيناس. أما وليد فقد رزقه الله بطفل بعد زواجه من سوزان وقام بتسميته على والده عمر.